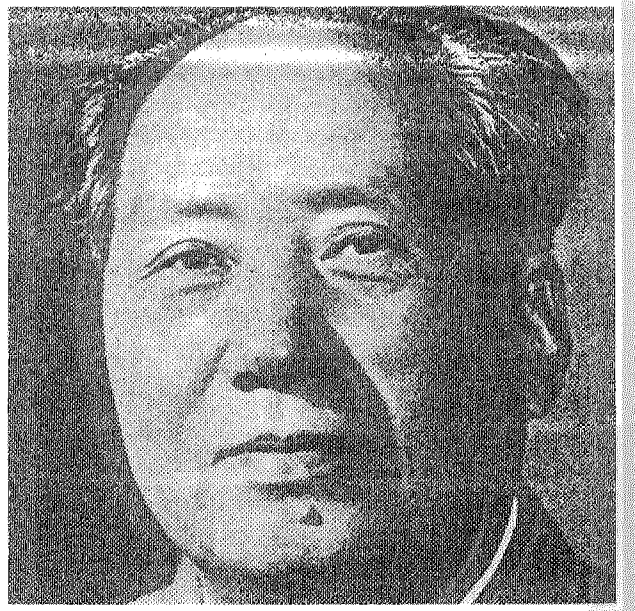
سلاسل سوفنير
دار الراتب الجامعية

سلسلة
عالم المشاهير

اعلام
الفكر والأدب

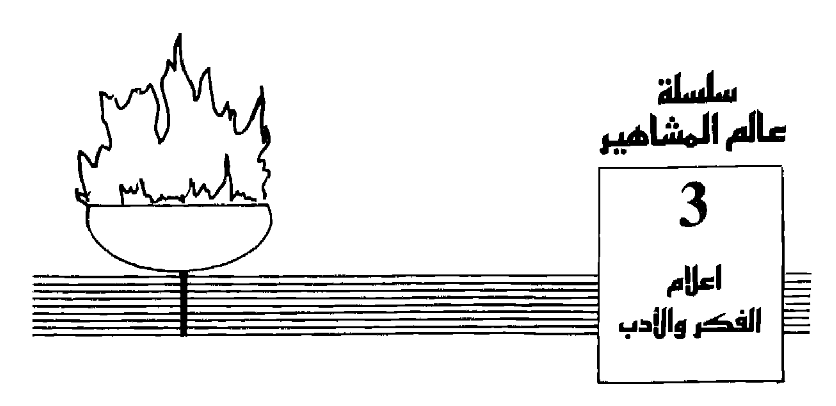
MAO TSO TONG



9

ماوتسي تونغ





السياسي والمفكر والزعيم الصيني

ماوتسي تونغ

MAO TSE - TUNG

جورج مدبك

1992

دار الراتب الجامعية ـ سوفنير

شركة منشورات :
دار الراتب الجامعية

سجل تجاري ٤٧١٨٤ / بيروت

الادارة : بناية اسكندراني رقم (٣) الطابق (٢) مقابل مسجد الجامعة
المكتبة : بيروت ـ بناية سعيد جعفر ـ تجاه جامعة بيروت العربية
ص . ب : ١٩٥٢٢٩ بيروت / لبنان
تلفون : ٣٠٦٥٠٥ ـ ٣١٧١٩٩ ـ ٣١٣٩٢٣ ـ ص . ب . ١٩٥٢٢٩
تلكس RATEB 43917 LE

المقدمة

عندما يتساءل الناس عن أحوال الصين تراودهم فوراً، بالأخص المتقدمين في العمر، ذكريات الصين قبل عام ١٩١٩ عندما كانت الحياة هناك مترفة وسهلة وماجنة ويتذكر هؤلاء أيضاً الحياة البائسة التي كان يحياها الصينيون في مختلف مناطقهم. أما أولئك الذين لم يعاصرو الصين ما قبل الثورة الشيوعية فيها يعرفون أن هذه الدولة هي من الدول الغنية والمتطورة في كافة المجالات الحياتية. ماذا حدث في بلد ماو تسي تونغ؟ وصف أحد المختصين بالشؤون الصينية في عام ١٩٥٠ المجتمع الصيني بأنه مجتمع لا يرحم ومتغيّر يخرج عن التعقيد والإفراط في الترف. يعيش لأنه يريد أن يبقى على قيد الحياة. يعتمد كل فرد في هذا المجتمع على نفسه وعلى روابط الدم والانتماء.

أراد العالم أم لم يرد فإن ماو تسي تونغ كان يمثل الصين بل كان الصين بالذات. رجل يساوي دولة. فهل كان الصينيون مسرورين لأنه كان لديهم زعيم مثل ماو تسي تونغ؟ وهنا نتساءل مع المتساءلين: هل كان صالحاً للصين وللعالم أجمع وماذا كانت مهماته ومسؤولياته. هل كان ديكتاتوراً أو مصلحاً اجتماعياً؟ هل لا زال الصينيون يقدسونه بعد أن توفي. هل أوجد الخطر الأصفر وما هو كنه أسطورته.

ولكن نعود لنسأل ويسأل معنا الآخرون من كان ماو تسي تونغ؟ هل ظل ذلك الرجل العصامي الذي خرج في عام ١٩١٠ من مزرعته ومن مدرسة القرية. كيف اعتنق الماركسية في عام ١٩٢٠ وكيف أصبح في عام ١٩٦٠ زعيم الصين بعد أن تقدم في العمر ولماذا كان يمضي معظم أوقاته في المدينة المحرمة. لا يخرج من منزله هناك إلا نادراً ويحكم من هناك بلداً يعتبر أكبر بلد في العالم من جهة عدد السكان؟

سنقوم في هذا الكتيب بوصف هذا الرجل الفذ، النابغة، العصامي، الديكتاتور، الأب الحنون ورب العائلة الصينية الكبيرة محاولين أن نلتقط من هنا وهناك ومضات حركاته داخل الصين البلد الذي يعج بالتناقضات. لن نتحدث عن مراحل حياته الشخصية بل عن تصرفاته التي أثرت على الصين بشكل خاص وعلى العالم أجمع بشكل عام. نعرف أنه في عام ١٩١٩ كان ماو تسي تونغ قد بلغ السابعة والعشرين من عمره يعمل في مكتبة عامة وإنه في عام ١٩٢٥ بدأ ينظم نقابات العمال في كانتون وفي عام ١٩٣٠ قاد فريق القناصة وهو يرتدي القبعة السوفياتية.

سنقارن في هذا الكتيب الصور العابرة التي أعطاها ماو تسي تونغ عن نفسه من خلال كلماته ومؤلفاته وخطبه داخل مؤتمرات الحزب الشيوعي الصيني وأمام أصدقاءه الحميمين الذين رافقوه في حياته.

صيني كالصينيين الاخرين

لم يتحدث ماو تسي تونغ إلا نادراً عن حياته الشخصية والخاصة. ظل متعقبوا أخباره يرجعون في تقاريرهم عنه منذ عام ١٩٣٦ إلى المقابلة الصحفية التي أجراها معه ادجار سنو أحد المراسلين الصحفيين الأميركيين في الكهف الذي اتخذه ماو مسكناً له في مدينة شنسي. ولد ماو في شاو شان في مقاطعة هونان وكانت تعيش في المنزل الذي ولد فيه عائلتان تحتل عائلة ماو أربع غرف أرضية في حين تحتل العائلة الأخرى الغرف العلوية. تم فيما بعد تحويل هذا المنزل إلى متحف ماو تسي تونغ لاستقبال الزائرين الذين يسعون إلى التأمل بأرجاء المنزل ومحتوياته الذي شهد ولادة ماو.

قال ماو في حديثه الصحفي للمراسل الأميركي إن عائلته كانت فقيرة الحال وإن كل ما كان تملكه من أرض زراعية لم يتجاوز هكتاراً واحداً. كان يعيش في المنزل المكون من أربع غرف الجد والأب والأم وثلاثة أخوة وعامل زراعي.

ولد ماو عام ١٨٩٣ وعندما بلغ السادسة كان عليه أن يعمل في المزرعة ينقل الحطب ويطعم الخنازير. دخل إلى مدرسة القرية عندما بلغ السابعة. اختلف والده معه عندما كان في سن العاشرة وهدد الطفل بالانتحار مما أعاد المياه إلى مجاريها مع والده. بقي ماو في المدرسة لمدة خمس سنوات ثم عاد إلى العمل في المزرعة. كون الوالد ثروة صغيرة من بيع الحبوب في سوق القرية وإقراض الفلاحين بفائدة مرتفعة. أوكل الوالد إلى ابنه ماو مهمة الحسابات فكان ماو ينهك نفسه في إكمال الحسابات المطلوبة بسرعة لكي ينهمك في ساعات الليل في القراءة. فكر الوالد في أن يزوج ابنه في سن مبكرة لعله يترك ولعه بالقراءة فاختار لابنه امرأة ابنة أحد المزارعين فتزوجها ماو وعمره لا يتجاوز الخامسة عشرة. لم يذكر ماو في حديثه عما إذا ظل مع زوجته في نفس المنزل العائلي أم أنه انتقل إلى منزل آخر ولم يسمع بعد ذلك أي شيء عن هذه الزوجة.

ظلت المشاحنات مستمرة بين ماو ووالده وغادر ماو منزل والده ليسكن مع صديق له دون أن يقول ماو للمراسل عما إذا كان اصطحب زوجته معه أم لا. أقنع ماو بأن يعود إلى المدرسة بعد أن علم أن مدرسة حديثة فتحت أبوابها مؤخراً في القرية المجاورة. بعد مضي سنة واحدة رحل ماو إلى مدينة تشانغ تشا لتلقي الدروس الثانوية.

كانت مدينة تشانغ تشا عاصمة مقاطعة هونان ومركزاً تجارياً وصناعياً ومع أن هذه المدينة كانت بموجب المعاهدات المعقودة مع الصين مفتوحة للأجانب فقد واصل سكانها منع الأجانب من دخولها بطرق شتى. كانت هذه المدينة تعد من المدن التي تضم أكبر عدد من المثقفين والموسرين يعيشون في وسط سكان خشني الطباع يميلون إلى العنف ويعتقدون بالخرافات ويكرهون الأجانب. وإذا شئنا أن نصدق أقوال الرفاق الشيوعيين الذين عاصروا ماو يجب أن نقول أنه كان محبوباً من جانب أقرانه وكانوا معجبين به كنابغة من النابغين. أصر المؤرخ إميل سياو على أن ماو أظهر حماساً شديداً لدراسة العلوم الطبيعية في حين أكد شقيقه سياي يو، المناهض للشيوعية أن ماو لم يكن موهوباً ولم يكن يفهم شيئاً عن علم الرياضيات ولم يهتم أبداً بدراسة اللغات الأجنبية. فمن من الأخوين نصدق؟.

مع ذلك أكمل ماو تعليمه فأصبح من الأشخاص المثقفين المؤهلين لتسلم الوظائف الحكومية.

في عام ١٩٠٨ وكان عمر ماو خمسة عشر عاماً علم أن الامبراطور والامبراطورة توفيا. لم يكن ماو في ذلك الوقت من أعداء الملكية وكان يعتبر أن الامبراطور وموظفي الدولة الكبار ورجال الحاشية أشخاصاً أذكياء وصالحين يخدمون الأمة وينفذون الإصلاحات الضرورية للشعب.



ماو مع زوجته لانغ بينج

انهمك ماو في دراسة التاريخ المعاصر والجغرافية. أعجب بنابليون والامبراطورة كاثرين قيصرة روسيا والقيصر بطرس الأكبر وواشنطن وجلادستون وروسو ومونتسكيو ولنكولن. كتب ماو، حسب ما جاء في كتاب المؤرخ إميل سياو مقالة يطالب فيها بعودة صن يات تسن الذي كان يدعو مواطنيه إلى الثورة وعلق هذه المقالة التي كتبها بخط يده وصنع منها عدة نسخ ألصقها على جدران المدرسة فكان هذا التصرف أول عمل سياسي عام لهذا الشاب اليانع. كان تقليد جدل الشعر يشير إلى طاعة الصيني للعائلة المالكة ولكن ماو قص شعر رأسه وأقنع عشرة تلاميذ آخرين من أقران المدرسة بأن يجاروه في ما عمل.

في ٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١١ انفجرت قنبلة في مدينة هانكو ونفذ حكم الإعدام فوراً بعدد من الثوار وفي صباح اليوم التالي انتشرت الاضطرابات إلى المدينة المجاورة مما دفع قائد الجيش الجديد (الذي أنشىء في عام ١٩٠١ وضم بين صفوفه عدداً من المثقفين) إلى التمرد والانضمام إلى الثوار. توسع نطاق التمرد وانضم ماو إلى صفوف الجيش الجديد وبعد أن كان تلميذاً أصبح أستاذاً. بدأ يخط شعارات «حرروا الصين» و«اطردوا آل ماندشو» و«الجمهورية في كل مكان» و«وزعوا الأرض على الفلاجين» و«حرروا النساء» ولكنه ما لبث وأن عاد إلى صفوف الدراسة. ظل وهو تلميذ يتعاون مع أقرانه في كتابه المناشير المعادية للجنرال شيكاي

الذي شكل حكومة ادعى أنها حكومة جمهورية بدلاً من صن يات تسين الذي عندما عاد من منفاه وجد نفسه مضطهداً من العائلة المالكة .لم يستطع صن يات تسين أن يعمل شيئاً تجاه هذا الأمر فهو بدون جيش ومصادر ومؤيدين مسلحين. استمر ماو يدير حملة تمرد ضد القادة العسكريين الذين أخذوا ينكلون بسكان هونان، مقاطعة المثقفين والثوريين. أسس في عام ١٩١٧ «جمعية دراسات العالم الجديد» وكان من بين شروط الانضمام إلى عضوية هذه الجمعية أن يكون المرشح مستعداً لخدمة الأمة وأن يرسم له هدفاً محدداً يبين فيه الطريقة التي اختارها لخدمة الأمة. نشرت هذه الجمعية مجلة «الشباب»وكان يكتب فيها تشين توسيو (الذي أصبح فيما بعد شيوعياً والسكرتير الأول للحزب الشيوعي الصيني) مقالات يدعو فيها الشباب إلى «التخلص من كل ما هو فساد ونتن».

كان ماو قد أنهى السنة الخامسة من تعليمه الثانوي في المدرسة الرسمية في تشانغ تشا عندما قرأ إعلاناً نشرته مجموعة من الطلاب الذين ذهبوا إلى فرنسا للعمل فيها وتعلم فنون الغرب. سافر إلى بكين وعندما وصل إليها اعترض سبيل سفره إلى فرنسا حادث مفاجىء. كان أحد أساتذته في مدرسة تشانغ تشا يعمل في الجامعة الوطنية وبواسطته حصل ماو على وظيفة متواضعة في المكتبة

الوطنية. مع أن أتباعه أكدوا أنه تسلم وظيفة مهمة في المكتبة فالواقع المؤكد أنه كان يقوم بكنس غرف المكتبة ويجمع الكتب المبعثرة على طاولات المطالعة ليعيد ترتيبها على الرفوف. اختار لسكناه منزلاً مشتركاً مع ستة أصدقاء غير مزود بوسائل التدفئة.

ماو الماركسي

إن انضمام الصينين إلى الماركسية قصة معقدة أراد المؤرخون تبسيطها إلى آخر الحدود من خلال تحديد تواريخ والاستناد إلى كتابات الذين اعتنقوا هذا المبدأ السياسي. والحقيقة أن أوائل الذين انضموا إلى الماركسية لم يكونوا مقتنعين بالمبادىء الشيوعية بل فوضويين. كتب ماو في شتاء ١٩٢٠ «لقد بدأت أتأثر بمبادىء ماركس وتاريخ الثورة الروسية» وبعد عام ١٩٢٠ فقط اهتم ماو بالمانيفستو الماركسي وبأعمال وكتابات كوتسكي وتاريخ الاشتراكية. وجد في الشيوعية أيديولوجية أكثر مما وجدها أسلوباً للحكم أثبت فعاليته في روسيا. وجد في الشيوعية نظاماً فعالاً لتنظيم الجماهير التي تطالب بتحسين أحوال العمال والكادحين. في عام ١٩١٩ عينته إحدى المجموعات السياسية التي كان عضواً فيها مهيجاً للجماهير في مقاطعة هونان. غادر بكين متجهاً إلى هذه المقاطعة سيراً على الأقدام يدفعه الفضول إلى زيارة الأماكن المقدسة في شانتونغ ومشاهدة المعابد البالية لمذاهب الكونفوشيوسية والتاوية والبوذية والأرواحية.

فغمرته قناعة قوية بأن كل شيء يجب أن يتغيّر في الصين.

وصف ميشيليه الاتحادات الفلاحية في مقاطعة هونان قائلاً «هذا التحرك الكبير اتخذ منذ بدايته طبيعة الاحتفال المخيف. هاجمت الجماهير المنتشية بالنصر والفخر أسياد المدينة لتطفىء كرهها القديم لهم. كانت المدينة تمثل للفلاحين ثلاث مساوىء هي كونها السلطة التي تصدر القوانين ومركز المصارف والصناعات ومركز يتمتع بالتفوق التقني». نعرف من المؤخرين أن الزواج الأول لماو لم يكن له شأن في حياته. في عام ١٩٢٠ تزوج ماو مرة أخرى من يانغ كاي هوي، ابنة أستاذه الحميم في مدرسة تشانغ تشا. تحدث المؤرخون عن هذا الزواج ووصفوه بأنه كان نموذجياً ولم يمنع تكون شخصية مستقلة لكل من الزوج والزوجة التي كانت لماو قبل الزواج صديقة مخلصة تشاركه في كافة النشاطات الثورية. قتلت يانغ كاي هوي في عام ١٩٣٠ على يد القوات الوطنية (قوات تشانغ كاي تشيك).

قام ماو بدور هام جداً في تأسيس الحزب الشيوعي الصيني. اشترك في المؤتمر العام للحزب في شانغهاي عام ١٩٢١. لم يرشح شيء إلى الخارج عما دار بين الأعضاء العشرين المؤسسين للحزب. شهد ماو العضو النشط والمسؤول في الحزب عن النشاطات الثورية تعاون الحزب مع الكيو-مين تانغ (الحزب البورجوازي الوطني الذي أسسه

صن يات تسين) ثم اندماج الحزب مع هذا الحزب الأخير. فرضت موسكو هذا الاندماج لأنها كانت تسعى إلى دفع الشيوعيين إلى القيام بهجمات ضد شانغهاي وغيرها من المدن الصناعية وبالفعل قام الشيوعيون بمثل هذه الهجمات واستمروا في ذلك حتى عام ١٩٢٧ عندما حطمهم شيانغ كاي تشيك الذي انضم في ذلك الوقت إلى جانب القوى الرأسمالية.

بصفته مهيج الجماهير في مقاطعة هونان نظم ماو تسي تونغ فيها أكثر من عشرين نقابة لعمال المناجم والباعة المتجولين والموظفين الصغار وعمال التنظيفات كما أنشأ فيها أكثر من عشرين اتحاد فلاحي وزوّد أعضاءها بأوامر تقول «اقتلوا الطغاة والأسياد والبروقراطيين الفاسدين».في عام ١٩٢٦ قام الجنرال شيانغ كاي تشيك بضربة معلم (بعد أن ضمن لنفسه خلافة صن يات تسين) بعدأن أعاد تأكيد تضامن الحزب الشيوعي المدمج (كان ماو قد أصبح رئيس تحرير المجلة الأسبوعية التي يصدرها تجمع الكيو ـ مين تانغ). في مايو ١٩٢٧ وخلال المؤتمر العام الثالث للحزب الشيوعي في موهان أبعدت المسألة الزراعية التي أثارها ماو في الاجتماع. نتج عن ذلك فشل مشروع إقامة حكومة مؤتلفة التي طالب بها الشيوعيون. اتهم ماو مبعوث القيادة السوفياتية بورودين بأنه كان سبب غض النظر عن المسألة الزراعية لأن موسكو كانت تعارض إثارة هذه المسألة في ذلك الوقت. فستالين

كان يعتقد أن من غير الممكن أن تنجح الثورة الفلاحية في الصين في الوقت الذي كانت الثورة العمالية ترسم خطاها.

واجهت سياسة ماو المرتكزة على الفلاحين معارضة شديدة من جانب «المنشقين». أنكر لي ليسان ورفاقه فيما بعد أنه كان هناك اختلافات في النظرة إلى كفاح المدن وكفاح المناطق الريفية وادعوا بأن حالات التمرد في المدن الكبيرة فقط تستطيع إشعال ثورة شاملة على مستوى الوطن. تغلب ماو على معارضة «المنشقين» بالاعتماد على البورجوازية وعلى الكيو - مين تانغ.

كتب ماو «يعارض شيانغ كاي تشيك بقوة النشاطات التي يقوم بها الفلاحون في هونان. أما فيما يخصني فإني أطرح السؤال التالي «هل يمكن أن نتحدث عن الثورة الوطنية بدون قدر ضئيل من البلشفة؟ هذه الدعوات اليومية لإيقاظ الجماهير وهذا الخوف المميت من الجماهير عندما تستفيق ألا يذكراننا بقصة لي كونغ الشهيرة وحبّه للتنين»؟ هنا يبرز ميل ماو للقصص القديمة والخرافات الحِكَمية. كان يي كونغ يحب التنين وكانت أسلحته وأدواته والتماثيل التي تزين مسكنه على شكل تنين. هبط تنين حقيقي من السماء وألقى نظرة عبر نافذة يي كونغ الذي ما أن رآه حتى ترك كل شيء وأخذ يركض وهو يكاد يغمى عليه من الخوف. والسبب هو أن يي كونغ لم يُحب التنين أبداً بل كل ما بدا له على شكل

تنين. قارن ماو مناصري تشان كاي تشيك بِ يي كونغ الذين كانوا دائماً يلفظون كلمة «ثورة» مع أنهم كانوا يخشون حدوثها بالفعل بل وقاوموا وحاربوا كل من حاول إشعالها.

تميز عام ١٩٢٧ بإخفاقات عدة للحزب الشيوعي وشهد تغييرات في فريق مبعوثي الكومنترن السوفياتي وفي داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني. اصطدم ماو تسي تونغ مرتين بعداء قياد يي الحزب الشيوعي. أعلن المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي «لقد أبعد تشين توسيو الرفيق ماو تسي تونغ تماماً من إدارة الحزب وقرر حرمانه حتى من حق التصويت». ولكن بعد أربعة أشهر على صدور هذا القرار أعفى الكومنترن تشين توسيو وأعاد ماو إلى منصبه في إدارة الحزب الشيوعي الصيني. حدث الاصطدام الثاني في نوفمبر (تشرين الثاني) من نفس العام فبعد فشل «تمرد حصاد الخريف» التي أمر الحزب الشيوعي بتنفيذه أقالت اللجنة المركزية ماو من منصبه كعضو إضافي فيها ولكن في يوليو (تموز) من السنة التالية وخلال المؤتمر السادس للحزب الشيوعي الصيني الذي انعقد في موسكو انتخب ماو تسي تونغ رغم عدم وجوده في المؤتمر عضواً أصيلاً في اللجنة المركزية.

بعد فشل «تمرد حصاد الخريف» انسحب ماو إلى المنطقة الجبلية تسينغ كانغ شان التي تبعد حوالي ٣٠٠ كيلو متر عن

حدود مقاطعتي هونان وكيانغسي. كانت هذه المنطقة مكاناً يلجأ إليه الناجون من الاضطهاد وما لبث أن انضم إلى هذه المجموعة عدد من اللاجئين الناجين من جماعة الجنرال تشو تو الذي قام بانقلاب فاشل ضد الحكم القائم فارتفع عدد أفراد الحزب الشيوعي في هذه المنطقة إلى حوالي ٣ آلاف مقاتل. وكون هؤلاء نواة ما سوف يعرف في المستقبل بالجيش الأحمر الذي قاده قائداه ماو تسي تونغ والجنرال تشو تو إلى النصر في عام ١٩٤٩. وهكذا تأسست أول قاعدة ثورية في الصين.

كان ماو يدير بحنكة أفراد جيشه ويشرف على تدريبهم ولكن هل يمكن أن تسمى هذه القوات جيشاً أم عصابات. كان ينقص أفراد جيشه المخيمات والأسلحة والذخائر. لم ينفذ هذا الجيش أي مواجهات مباشرة مع العدو الذي لم يتم تحديده بدقة في ذلك الوقت. كان قناصة ماو يتجنبون المعارك المكشوفة فيختفون في الأدغال بعد أن يضربوا ضربتهم.

وصف أحد الفرنسيين من سكان شانغاي جنرالات ذلك الوقت فصنفهم إلى فئتين: الجنرالات المزيفون الذين يسيرون بخيلاء داخل مناطق امتيازاتهم والجنرالات الحقيقيون الذين يقودون المعارك. والجنرال من الفئة الأولى يتكلم الانكليزية ويتنقل بين الدوائر الحكومية في نانكين ومساكن العاهرات ومواخير تعاطي الحشيش في شانغهاي.

تعينه قيادة الأركان سفيراً أو ملحقاً عسكرياً في جنيف ويرتدي بزة من آخر طراز أميركي. أما الجنرال من الفئة الثانية فيوجد في المقاطعات الصغيرة التي لا يزيد سكان أكبر مدينة فيها عن ثلاثمئة ألف نسمة. يتبعه خمسة آلاف أو خمسمئة رجل لا يملكون شيئاً سوى البزة العسكرية التي يرتدونها. اليوم هم حراس البلاد وغداً خارجون على القانون. مع ذلك يندفع هذا الجنرال إلى وطيس المعركة التي يدعوه الواجب إلى خوضها بدون أن يأمل من ذلك أي منفعة شخصية له أو لأفراد فصيله.

يفسر تقرير ماو حول «المعارك في جبال تسينغ كانغ» (١٩٢٨) كيف ولماذا تمكن الجنود من البقاء على قيد الحياة. كان معظم هؤلاء من المرتزقة الذين اندمجوا في صفوف الجيش الأحمر ولكنهم بعد فترة يبدأون بالشعور بفضل توجيهات الضباط السياسيين في الجيش بأنهم لا يحاربون من أجل مصلحة آخرين بل من أجل مصلحتهم. يتدرب الجنود لمدة تتراوح بين ستة أشهر وسنة واحدة دون أي تدرج في المراتب. كان عليهم أن يحاربوا معتمدين على شجاعتهم الفردية. كان من المفروض أن يتأمن للجندي حياة أفضل من حياة العامل أو الفلاح ولكن العكس هو الذي كان يحصل. باستثناء الأرز كان لا يحصل الجنود إلا على مبلغ ضئيل أسبوعياً لا يكفي لأعالتهم. وكذلك الأمر كان بالنسبة للرتباء والضباط. كان الحزب يحصل على نفقات إعالة

الجيش الأحمر من الضرائب التي كان يفرضها على الأثرياء ومن خلال وضع اليد على أملاك الاقطاعيين ومحاصيلهم. أما بالنسبة لأسرى الحرب فكان الجيش الأحمر بمثابة أتون يذوب فيه الأسير فيندمج في المجتمع الجديد الذي فرض عليه. وصف ماو حالة الجيش الأحمر في ذلك الوقت مشدداً عل النظام الديموقراطي المتبع فيه فقال «كانت القوات تتألف من حراس حمر ومن ميليشيا عمالية وفلاحية. تم تسليح قوات الميليشيا برماح صغيرة وبنادق ولذلك كان أفضل سلاح بين أيدينا الدعاية التي كانت تولدها العناية بالأسرى وبالجرحى بعد أن انطلق سراح هؤلاء».

عندما كان جنود الحكم يستعيدون قطاعاً يسرع الفلاحون الأثرياء في ذلك القطاع إلى وضع أشرطة بيضاء حول رؤوسهم ويساعدون الجنود في إلقاء القبض على الفلاحين الحمر وعندما كان الجيش الأحمر يعيد احتلال هذا الموقع كان الفلاحون الأثرياء يهربون خوفاً من الإرهاب الأحمر ولكن كان أفراد الجيش الأحمر المنتصر يحترمون بدقة أوامر ماو «لا تقتلوا الفلاحين الذين أبدلوا الشرائط البيضاء بشرائط حمر». كان يرحب بالخونة المرتدين ويوصي حتى بتوزيع الأراضي إليهم

كانت المستنقعات والوديان والمناطق المغمورة بالمياه الخاصة بزراعة الأرز وسلاسل الجبال تجبر قوات شيانغ كاي

تشيك إلى التحول عن الطريق المباشر مسافة مئات الكيلومترات في حين كانت قوات الجيش الأحمر تتمكن من اجتياز هذه المناطق بمساعدة السكان. بالإضافة إلى ذلك ساعدت الاختلافات الشديدة التي كانت تحصل بين قادة قوات شيانغ كاي تشيك في التقدم الحثيث للجيش الأحمر.

ماو والزعامة السوفياتية

كيف كانت علاقات ماو مع ستالين؟ قيل وقتئذ إن ستالين كان يكره ماو لأن ستالين أراد من ماو أن يستند على العمال وليس على الفلاحين. وهنا يبرز السؤال لماذا سارعت الصحيفة الرسمية الناطقة باسم الكومنترن إلى إعلان وفاة ماو ٢٢ مارس (آذار) ١٩٣٠ قبل أن تتأكد من الخبر؟ جاء في خبر الصحيفة ما يلي «وردت لنا أنباء مؤسفة تفيد أن الرفيق ماو تسي تونغ، أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الصيني ومؤسس الجيش الأحمر والعدو اللدود للمالكين الاقطاعيين وللبورجوازيين لاقى حتفه على جبهة القتال في فوكيين أثر إصابته بالتهاب رئوي. من المعلوم أن الكيو منغ تانغ ـ الحزب الممثل للاقطاعيين وللبورجوازيين ـ قد وضع ثمناً لرأسه منذ عام ١٩٢٧. كان ماو عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني منذ عام ١٩٢٨. في الوقت الذي كان فيه الحزب يواجه إفلاساً تاماً في سياسته المتعلقة بالثورة الزراعية عمل ماو، رغم تعليمات الإدارة الانتهازية للحزب بين جماهير الفلاحين في هونان ونظم التمردات الفلاحية في

تشانغ تشا. «لقد أكمل الرفيق ماو مهمته التاريخية كبلشفي ورائد للكادحين الصينيين. لن تنسى جماهير العمال والفلاحين أبداً ما قام به الرفيق ماو وسوف يكملون ما بدأه».

ربما كان مصدر هذا الخبر الارتباك التي شمل أنحاء الصين وفي داخل صفوف الحزب الشيوعي الصيني ويثبت نص الخبر أن ماو كان على علاقة ودية مع الكومنترن أكبر مما كان يدعيه خصومه السياسيون.

أوصى ماو منذ عام ١٩٢٧ بتنفيذ الإصلاح الزراعي وذلك للأسباب التالية التي ذكرها بنفسه:

١ ـ الفقر الذي يعاني منه أكبر عدد من الصينيين يعود بصورة رئيسية إلى الضرائب وإيجار الأراضي الزراعية التي يفرضها المالكون التي لا يستطيع الفلاح الصيني تحملها.

٢ ـ أصحاب الأراضي الزراعية أفضل حالاً من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية من الذين يستأجرون الأرض الزراعية.

٣ ـ يجب أن يستند الإصلاح الأساسي على تقاسم الأرض الزراعية.

٤ ـ تتمكن بالتأكيد الطبقة الفلاحية المتحررة من سيطرة حكومة لا تضم سوى كبار الاقطاعيين أن تحل كافة مشاكلها في كل المجالات الحياتية.

أظهر الحمر اعتزازهم بمبادىء الإصلاح الزراعي. ادعوا أن الصين مجتمع مكوّن من طبقتين عدوتين: المالكين والفلاحين ولكنهم ابتعدوا في ذلك عن واقع المشاكل السكانية وعدم توفر الأساليب الفنية الزراعية وكالوا تهم التخلف الزراعي على المالكين.

كانت عناصر القاعدة للحزب الشيوعي الصيني من فلاحي حوض نهر يانغ تسي ولذلك كانوا متعلقين بشدة بالأرض. من خلال وعوده بتوفير حياة أفضل لهم تمكن ماو من اجتذاب أعداد هائلة من الأعضاء الجدد لحزبه الفتي. اتخذت حركته شكل عامية عندما أعلن المؤتمر الأول للسوفيات الصينيين في ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣١ الذي انعقد في مقاطعة كيانغ سي قيام الجمهورية السوفياتية الصينية وانتخب ماو تسي تونغ رئيساً لهذه الجمهورية. كانت هذه الجمهورية تضم حوالي عشرة مراكز منتشرة في سدس المساحة الإجمالية للبلاد وتضم حوالي ٩٠ مليون نسمة. عندما هاجمت اليابان مقاطعة منشوريا في ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ أعلنت الحرب ضد اليابان في حين تخاذل الجنرال شيانغ كاي تشيك رئيس الحكومة المركزية في مواجهة الجيوش اليابانية.

أقامت الجمهورية الجديدة مؤسساتها على غرار المؤسسات في الاتحاد السوفياتي واستند تنظيم الحزب على

أربع فئات في جيشه: خلايا الفصائل، لجان الفصائل، لجان الجيش ولجنة الجيوش العليا. كان لكل فصيل خلية ومجموعة خلايا في كل قطاع. بفضل هذا التنظيم لقوات الحزب والجيش الأحمر كان من بين كل أربعة عناصر في الجيش عنصر واحد عضو في الحزب الشيوعي.

بوجه إجمالي تمكن النظام الشيوعي من إلغاء نظام استغلال المزارعين في كل منطقة يدخل إليها. صادر عقارات وأراضي المالكين الكبار والاقطاعيين ووزعها على الفقراء من الجنسين الذين تزيد أعمارهم عن السادسة عشرة. أصبحت الأراضي العامة والمؤسسات الرسمية وأراضي المعابد والهياكل والأديرة ملكاً للدولة. ألغيت الديون المتوجبة على الفلاحين للمالكين وألغي النظام القديم لجباية الضرائب وحل محله نظام جديد يفرض ضرائب باهظة على كبار التجار ويعفي صغار التجار وأصحاب المخازن الصغيرة من دفع أي ضريبة.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣١ تم إنشاء نظام مصرفي شيوعي وقدرت أموال الدولة وقتئذ بحوالي ١٢ مليون دولار. وهكذا شيئاً فشيئاً أقام ماو تسي تونغ إدارة منظمة للجمهورية الجديدة: مصرف إصدار للعملة الصينية، مكاتب بريد، تعاونيات استهلاكية ومؤسسات تصدير واستيراد. حملت العملة الجديدة صورتي لينين وماركس وشعارات «أوقفوا

الحرب الأهلية»، «لنتحد في مقاومة اليابان» و«عاشت الثورة الصينية» وحاول ماو صهر عائلة الحزب الشيـوعي في بوتقـة حكم مركزي سيطرت فيه الخلايا الشيوعية.

لم يكن بمقدور الحكومة المركزية في بكين صرف النظر عن النجاحات التي حققها الشيوعيون في مقاطعة كيانغسي. نظم شيانغ كاي تشيك خمس حملات عسكرية متتالية ضـد ماو وحكمه بهدف القضاء النهائي عليهما. أفرزت الحملات الأربع الأولى بعض الانتصارات للجيش الأحمر إذ تمكن من الحصول على أسلحة وذخائر من القوات الحكومية المنسحبة بدون انتظام كما تمكن أيضاً من أسر عدد من جنـود شيانـغ كاي تشيك. في الحملة الخامسة أدخل شيانـغ كاي تشيـك قوات كبيرة تعد بمئات الألوف واستعان بخبرات ضباط ألمان وبمحاربين قدامى من الجيوش الامبراطورية الألمانية. أوصى هؤلاء بإنشاء خطوط دفاعية محصنة على غرار تحصينات خط مـاجينو لقـطع الطريق أمـام الجيش الأحمر المنسحب ولكن أفراد هذا الجيش مع أفراد عائلاتهم وقوافل العتاد والأسلحة تمكنوا من فتح ثغرات في هذا النـظام الدفـاعي وهكذا بـدأ بالفعل الزحف الطويل للجيش الأحمر.

بعد ثلاثة أشهر من انسحاب قوات الجيش الأحمر استولى ماو في يناير (كانـون الثاني) ١٩٣٥ على مـدينة تسـوين يي، وهي إحدى أكبر المدن في شمال مقاطعة كويتشو. عقد هناك

مؤتمراً مع أركان حزبه كان من أشد المعارك السياسية ضراوة في حياته. تمكن من تجاوز إرادات زعماء الحزب ومن تشكيل مكتب موسع. تغلب على رأي مؤيدي القيام بثورات داخل المدن وجعل المؤتمرين يوافقون على خطته في الانكفاء وممارسة حرب العصابات.

الزحف الطويل

بعد انقضاء أكثر من ٥٥ سنة على بداية الزحف الطويل، هذا الحدث الزلزال الذي قلب موازين القوى في الصين وأسس قواعد إنشاء دولة عظمى نجد من الصعب إعطاء سرد تاريخي للزحف الطويل لأن اعتمادنا في هذا السرد يتمحور أحياناً على أساطير وأخبار مشكوك في حصتها تناقلها الآباء عن الأجداد والأبناء عن الآباء. لم يبق لمتتبع التاريخ وثائق أو مؤلفات أو رسائل يمكنه الاعتماد عليها ما عدا ما تبقى من خطابات الزعيم ماو ورسائله إلى الشعب التي نشرت فيما بعد على شكل كتيبات دعائية يستخلص منها على أن عدة فصائل وفرق من الجيش الأحمر وليس فرقة واحدة انطلقت من كيانغسي وسارت في اتجاهات مختلفة لتلتقي في مقاطعة شنسي منهوكة القوى بدون سلاح يذكر ولكنها مع ذلك حققت النصر.

كان ماو يقود إحدى فرق الجيش الأحمر واتخذ شيانغ كاي تشيك قراراً بتركيز هجمات جيشه على هذه الفرقة لعلمه بأنه إذا تمكن من القضاء عليها يؤمن الانتصار على فرق

الجيش الأحمر الأخرى. أمر ماو قواته باحتلال معابر الجبال والممرات بين الأودية لنصب كمائن لقوات شيانغ. في إحدى المرات نصبت قوات ماو جسراً من قضبان الخيزران فوق أحد الأنهر لإيهام العدو بأنها على وشك استخدامه للعبور إلى الجانب الآخر من النهر. اندفعت قوات شيانغ تقصف هذا الجسر مركزة نيران مدافعها على المناطق المحيطة به في حين كانت قوات ماو، بعد أن ارتدى أفرادها ملابس جنود الكيومين، تحتل مدينة تبعد مسافة ١٣٠ كيلومتراً عن موقع الجسر.

في منتصف شهر أغسطس (آب) ١٩٣٥، واجه ماو وفرقته صعوبة في عبور منطقة خالية من السكان تغمرها المياه والوحول. كان على أفراد الفرقة الغوص حتى الركبتين مواجهين خطر الانزلاق في هذه الوحول العميقة. قال ماو عن هذه الحادثة «كان علينا من الأسهل تسلق السماء من اجتياز هذه المستنقعات بسلام». وصل ماو مع رجاله عبر هذه المستنقعات إلى الأرض الموجودة الصلبة التي يعيش سكانها في حالة فقر موقع. أقام ماو في قرية ياو آن مركز قيادته وشكل هناك «جيش اتحاد العمال والفلاحين» وبعد فترة التقاط الأنفاس نقل مركز قيادته إلى يان غان وهي مدينة قديمة نساها التاريخ ولم تذكر إلا بعد دخول ماو إليها وإقامة مركز قيادته فيها.

تقع مدينة يان غان بين نهرين عند أسفل سلسلة مرتفعات صخرية. تحيط بالمدينة في الجانب الغربي أسوار مسننة يعلوها برج مراقبة يشرف على السهول الممتدة بين المرتفعات. على الجانب الشمالي ترتفع الصخور التي تتوجها هياكل خربة وباغودة (معبد صيني) مهجورة. النخاريب تتداخل في المنحدرات لتشكل الكهوف التي كان يقطنها السكان وفي أحد هذه الكهوف أقام ماو تسي تونغ لمدة أربع عشرة سنة.

كيف أمضى ماو هذه الفترة الطويلة من حياته في ذلك الكهف في مدينة يان غان؟ لم يذكر المؤرخون أي شيء عن حياته العائلية وعن اهتمامه بأولاده أو أصدقاءه أو معارفه ولكن ما هو مؤكد من الوثائق هو أن زوجة ماو الثالثة رافقت ماو في الزحف الطويل نحو شنسي وظلت إلى جانبه إلى أن انفصل عنها بعد سنوات قليلة من إقامته في يان غان بعد أن خلفت لماو ثلاثة أولاد اضطر ماو إلى التخلي عن اثنين منهما إلى عائلات من الفلاحين بعه اشتداد المعارك. انصب الاهتمام السياسي لماو على وضع استراتيجيات وخطط المعارك ونشر آراؤه السياسية بين أتباعه وجنوده. في الأول من شهر أغسطس (آب) ١٩٣٥ وجّه إلى شيانغ كاي تشيك العرض التالي: «إذا توقفت قوات الكيو منتانغ عن مهاجمة المقاطعات السوفياتية الصينية ووجهت قدراتها لمحاربة الغزو

الياباني للبلاد سينسى الجيش الأحمر عداءه للحكم المركزي واختلافاته مع شيان حول الشؤون العالمية وستوقف قوات الجيش الأحمر هجماته ضد قوات الكيو منتانغ بل ستكون على أتم استعداد للمحاربة جنباً إلى جنب مع هذه القوات من أجل تحقيق النصر ضد العدو الياباني.

يقال أن ماو خلال إقامته في كهف يان غان كان يزور من وقت لآخر مسرح الأكاديمية الفنية التي أسسها الشيوعيون وصادف أن قابل في إحدى هذه الزيارات الممثلة السينمائية لان بينج التي تخلت عن مهنتها السينمائية لتعود إلى مدينتها الأم يان غان. وقع ماو بسرعة في غرام هذه الممثلة الجميلة فتزوجها بعد أن تخلى عن زوجته الثالثة كما أسلفنا أعلاه.

في خريف عام ١٩٣٦ ثار شيانغ كاي تشيك عندما علم وهو في عاصمة حكمه نانكين أن قواته المتمركزة في مقاطعة شنسي بقيادة المارشال تشانغ هيو لنغ قد انسحبت أمام هجمات اليابانيين وانضمت إلى قوات الجيش الأحمر لمواصلة القتال ضد العدو الياباني. كان الجيش الياباني في ذلك الوقت قد أكمل احتلاله لمنشوريا وكان الجنرال شيانغ كاي تشيك يعرف تماماً أن ليس باستطاعة قواته صد الهجوم الياباني فوضع كل آماله في إنقاذ بلاده على جمعية الأمم التي طلب منها التدخل لوقف الزحف الياباني. في بداية ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ ترك شيانغ كاي تشيك مركز

قيادته وحكمه في نانكين متوجهاً إلى سنغان لعقد مؤتمر لاركان حربه وقادة قواته. وقع شيانغ ورجاله في كمين أعده لهم المارشال تشانغ هيو لنغ فأبيد رجال شيانغ وألقي القبض على شيانغ بالذات. تدخل ماو تسي تونغ وأرسل إلى المارشال تشانغ رجلاً يثق بإخلاصه هو تشو أن لاي لإقناع المارشال بإخلاء سبيل تشانغ كاي تشيك وتركه ليعود إلى نانكين مقابل موافقة تشانغ كاي تشيك على إشراك قواته مع قوات الجيش الأحمر من أجل محاربة اليابانيين. وهكذا كان. توقفت العمليات الحربية بين الجيش الأحمر وجيش تشانغ مما أثار قلق اليابان من احتمال توحد الصين وازدياد قوتها العسكرية بعد زوال الانشقاقات والعداوات بين زعمائها.

في ٣ يوليو (تموز) ١٩٣٧ تدخل اليابانيون في ضاحية بكين فردت عليهم قوات شيانغ. لقد توحدت الصين في المقاومة وفي سبتمبر (أيلول) تم توقيع اتفاق بين ماو وشيانغ ثبتت بموجبه المصالحة بين الزعيمين. اعترف الكيو منتانغ بوجود منطقة حدودية تتكون من مقاطعات شنسي وكانسو ونينغ هيا واحتل ممثل عن ماو مقعداً في المجلس الحربي لشيانغ ودخل شيوعيون في وقت لاحق إلى المجلس السياسي للشعب وتوقفت مؤقتاً الحرب الأهلية. قال ماو في عام ١٩٣٧ «من أجل أن تشترك الأمة بكاملها في حرب المقاومة ألغينا بإرادتنا اسم «الحكومة الثورية للعمال

والفلاحين» وأبدلنا اسم الجيش الأحمر باسم الجيش الثوري الوطني وغيرنا سياسة مصادرة أراضي المالكين وخفض إيجارات الأراضي الزراعية».

مع ذلك لم يتخلى شيانغ كاي تشيك عن تصميمه على إفناء الشيوعيين. منعت قواته تحرك الشيوعيين في المناطق التي تسيطر عليها أكثر من نشاطها في محاربة اليابانيين. بالمقابل تذمر شيانغ كاي تشيك من أن الجيش الأحمر الرابع لم يعد إلى قواعده في شنسي حسب ما نص عليه الاتفاق بين الزعيمين. بدأت علامات الحرب الشاملة بين الزعيمين تظهر في الأفق بطريقة غريبة. ظل عدد كبير من الجنرالات الملتحقين بقوات الكيو منتانغ مستقلين في تصرفاتهم. كانوا يخلصون للحكومة المركزية إذا زودتهم هذه الحكومة بالأسلحة والأموال. بعد أن انهكت الاضطرابات المحلية قواته ومدفوعاً بكرهه العميق لماو أصدر أمراً إلى الجيش الأحمر الرابع باجتياز النهر الأصفر ويبدو أن هذا الجيش نفذ أوامر شيانغ. بعد أن اجتاز القسم الأكبر من هذا الجيش النهر الأصفر هاجمه بضراوة أكثر من ٨٠ ألف رجل يقودهم جنرالات اشتركوا قبل عشر سنوات في عمليات إبادة الحمر. دامت المجزرة بضعة أيام. عرف ماو بهذا الكمين البشع ولكنه لم يتخذ أي إجراء مضاد لأنه بدأ يدرك أبعاد وتطورات الحرب العالمية الثانية وقرر الاستفادة من هذا الوضع الجديد

في الساحة العالمية. ضاعفت قوات الكيومين عمليات التخريب ونصب الكمائن وزرع المتفجرات لإنهاك القوات اليابانية واستخدمت في ذلك كافة الخدع العسكرية مما جعل اليابانيون يشكون حتى من الأشجار المزروعة على جوانب الطرقات فاقتلعوها.

شعر ماو تسي تونغ في ربيع عام ١٩٤٥ على صعيد العلاقات الخارجية بانحياز الأميركيين إلى جانب شيانغ كاي تشيك ونظام حكمه. رفضت الحكومة الأميركية بفظاظة تزويد ماو تسي تونغ بالمال الضروري لاستيعاب القوات الصينية المؤيدة لليابان في الجيش الوطني وعندما طلب ماو من السفير الأميركي الموافقة على تمثيل الحمر في مؤتمر سان فرانسيسكو الذي تم خلاله إنشاء منظمة الأمم المتحدة رد عليه السفير باستكبار بأن الحزب الشيوعي لا يشكل أمة. وهكذا اشتعلت نار الكراهية والغضب تجاه الأميركيين في قلب ماو تسي تونغ، هذه النار التي لم تطفئها أبداً سنوات ما بعد الحرب.

أثر توقيع اليابان على معاهدة الاستسلام طار ماو من يان غان إلى تشونغ كينغ وبذلك تكرست رسمياً شخصيته وقدرته. خلال مباحثاته مع شيانغ كاي تشيك التي دامت أربعين يوماً أكد ماو أن الشيوعيين يرغبون بإخلاص في تشكيل حكومة ائتلافية ديموقراطية. لم يكن ماو يرغب في تكريس الانفصال والقطيعة وأن يتهم بأنه كان السبب في

فشل المباحثات، لكنه لم يوافق على ممارسة قوات الكيو منتانغ سلطتها على الجيش الأحمر ولا على المناطق التي يسيطر عليها هذا الجيش. بعد انقضاء يومين على انتهاء المباحثات عادت وحدات الجيش الأحمر ووحدات قوات شيانغ كاي تشيك إلى الاصطدام مجدداً. اتهم كل فريق بأن الفريق الآخر كان البادىء في التحرش.

استفاد شيانغ كاي تشيك من المساعدات العسكرية والمعونات المالية التي قدمتها له الولايات المتحدة خصوصاً في مجال نقل القوات إلى منشوريا التي أخلاها اليابانيون بموجب معاهدة الاستسلام. لكن الأميركيين بدأوا يشعرون بتزايد النفوذ الشيوعي في البلاد وامتداد سيطرتهم إلى مناطق شاسعة فحاولوا إجراء مصالحة بين ماو وشيانغ فأرسلت الجنرال مارشال الذائع الصيت الذي أدار الحرب العالمية الثانية في كافة ساحات المعارك ولكنه فشل في مهمته وصرح عند عودته إلى بلاده «لقد خسرنا الصين» كما لو أن الصين كانت ملكاً للولايات المتحدة الأميركية وخسرتها. في ربيع ١٩٤٧ قرر شيانغ بعد أن أصبح يملك المال والسلاح والرجال تنفيذ ضربة موجعة للحزب الشيوعي وضرب ماو تسي تونغ في معقله في عاصمته يان غان وبالفعل تمكنت قوات الكيو منتانغ من احتلال يان غان ولكن هذا النصر كان وهمياً. أصدر ماو أوامره إلى قادة جيشه بالانكفاء واللجوء إلى ممارسة حرب العصابات التي أثبتت فعاليتها ضد

اليابانيين وضد قوات شيانغ في الماضي القريب. أنشأ ماو مركز قيادته الجديدة في شمال الصين على الحدود المنغولية وجل السكان في تلك المنطقة كانوا من المؤيدين له ولحزبه الشيوعي. بعد سنة من انسحابهم من يان غان تمكن الشيوعيون من احتلالها مجدداً وطرد جيوش شيان كاي تشيك منها أثر هزيمة عسكرية شنيعة. في شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ كشف ماو أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي عن خطته الاقتصادية وحدد ثلاث مهام أساسية لاستمرارية الثورة:

١ ـ مصادرة أراضي طبقة الاقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين.

٢ ـ مصادرة ممتلكات وأموال عائلات شيانغ كاي تشيك وسونغ وكونغ وتشين لي فو لمصلحة الدولة الديموقراطية الجديدة.

٣ ـ حماية الصناعة والتجارة.

خلال الأسابيع التي تبعت سقوط منشوريا في أيدي الشيوعيين (٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ إلى ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٩) تقرر مصير سهل الشمال. لم تكن المعارك التي جرت للسيطرة على هذه المقاطعة معارك صغيرة متفرقة بل كانت معارك طاحنة أدت إلى دخول القوات الشيوعية فيما بعد إلى بكين. لم يحضر ماو احتفالات النصر

التي أثارت إعجاب المشاهدين الأجانب التي جرى خلالها عرض النماذج الحديثة للمدافع والسيارات المدرعة والدبابات التي غنمتها قوات الشيوعيين من قوات شيانغ كاي تشيك .

تميز العام ١٩٤٩ باجتياز قوات الجيش لآخر نهر يانغ تسو وبالتقدم المذهل لهذه القوات إلى مقاطعات الجنوب. في جانب الوطنيين (قوات شيانغ كاي تشيك) سادت الفوضى فانسحبت الحكومة من نانكين إلى تشونغ كينغ ومن هناك إلى كانتون ومن ثم إلى تشينغ تو. تبع ذلك استقالة شيانغ كاي تشيك من منصبه وهربه بعد ذلك بالطائرة إلى جزيرة فورموزا. وهكذا سجل ماو تسي تونغ نصره التام بأقل خسارة وأصبح سيد الصين بلا منازع .



ماو تسي تونغ في زيارته لعائلة بي

(أخذت هذه الصورة من كتاب تشين تشانغ المعنون مع الرئيس ماو، المنشور عام ١٩٥٩)

الحقوق والواجبات

بلغ ماو تسي تونغ سن السادسة والخمسين في عام ١٩٤٩. وضع بدقة أساليب السيطرة على الجماهير وإعدادهم للمستقبل الزاهر الذي ينتظرهم. حدد الأولويات والخيارات ونظراً لعدم توفر تفاصيل دقيقة عن خطواته في هذا السبيل لا نجد أمامنا سوى الاعتماد على الرسائل الإخبارية لإعطاء توّاريخ مهمة في حياته وحياة وطنه الصين. أشارت هذه التواريخ إلى مراحل في حياة ماو كان لها الأثر الكبير على تصرفاته الداخلية والخارجية وعلى علاقاته بالزعماء الشيوعيين في الداخل والخارج وعلى إدارته لشؤون هذا البلد الشاسع المليئ بالتناقضات.

١٩٥٠ : أول رحلة يقوم بها ماو إلى خارج الصين يزور خلالها موسكو حيث يقابل ستالين.

١٩٥٣ : وفاة ستالين.

١٩٥٤ : مؤتمر جنيف الذي بحث مسألة الهند الصينية بحضور الصين الشعبية كمراقب.

١٩٥٥	: مؤتمر باندونغ حيث مثل شو آن ري الزعيم ماو بين الزعماء الآسيويين والأفارقة.
١٩٥٧	: زيارة ماو مجدداً لموسكو. دافع خروتشوف عن مفهوم التعايش الودي بين الصين والاتحاد السوفياتي الذي ابتكره ماو في عام ١٩٥٤. ظهور أولى دلائل التدهور في العلاقات الصينية السوفياتية.
١٩٥٨	: عامية «سبوتنيك». زيارة خروتشوف لبكين. وقف العمل مؤقتاً بعامية سبوتنيك.
١٩٥٩	: زيارة خروتشوف مجدداً لبكين.
١٩٥٩ ـ ١٩٦٢	: سنوات صعبة واجهتها الصين. عدم كفاية الإنتاج الزراعي والصناعي في البلاد لسد احتياجات السكان. اضطرار الدولة إلى التريث والحذر بعد «القفزة العظيمة إلى الأمام».

١ ـ الاصلاح الزراعي:

سيطر الإصلاح الزراعي على أفكار ماو واعتبره حبل النجاة لملايين الأشخاص. غيَّر المبادىء الأساسية لمفهوم الإصلاح الزراعي الذي اقتنع به دون أن يتأثر بحالات الفشل التي واجهها. برِّر المفهوم الذي اقتنع به بأمثلة عديدة. ينص هذا المفهوم على أن على المزارعين أن يتعاونوا فيما بينهم قبل أن يصبحوا شيوعيين جماعيين ولكن مثل هذا التعاون كان قائماً في الصين منذ آلاف السنين. اقترح ماو في عام ١٩٣٧ أن يعمل من كل مزارع مالكاً للأرض التي يزرعها من أجل توحيد الصينيين في الكفاح ضد اليابانيين الغزاة. لم يتحدث قانون الإصلاح الزراعي الصادر في ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٥٠ عن النظام الجماعي في الحقل الزراعي بل تحدث فقط عن فرق المساعدة المتبادلة. في عام ١٩٥٨ هنأ ماو نفسه بعد أن رأى انتشار موجة الاشتراكية في البلاد. هزأ بالرفاق الذين يسيرون مترنحين «كامرأة عجوز معصوبة العينين». هاجم المستائين الذين كانوا يتذمرون بأنه كان يسير بسرعة وكان يجيبهم «الأمور لا تسير

بسرعة مفرطة. إن تطور التعاونيات لا يتجاوز الإمكانيات».
إنه يوافق بالطبع على أن عدد السكان هائل وإن الأرض المزروعة غير كافية لإعالتهم بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التي تصيب الصين بتكرار - طوفان، جفاف، رياح، جليد، برد، حشرات ضارة - ولكنه كان يعتقد بأن الأساليب الزراعية المتخلفة سبب رئيسي للبؤس. إذا لم يندفع الفلاحون نحو إنشاء تعاونيات للإنتاج الزراعي في كل مقاطعة وفي كل مدينة وفي كل قرية فماذا يمكنهم أن يأملوا به؟ أبدى ماو أسفه لأن رفاقه لا يوافقون على سياسة تدعو إلى إحداث تناغم بين وتيرة التطور الزراعي والوتيرة السريعة للتطور الصناعي. لم يأخذ هؤلاء الرفاق التجربة السوفياية بعين الاعتبار ولم يفهموا أن التصنيع لا يمكن عزله عن التعاون الزراعي وأن مستوى إنتاج الحبوب والمواد الأولية الضرورية للصناعة منخفض للغاية في حين تزداد احتياجات الدولة لهذا الإنتاج سنة بعد سنة. مقابل تأكيدات ماو كان الرفاق يؤكدون أن الأساليب المطبقة في الاتحاد السوفياتي لم تحل مشكلة إعالة السكان وإن ١٠٠ مليون فلاح في روسيا لم يتمكنوا من إطعام ٢١٠ ملايين نسمة.

انطلاقاً من الطريق بين الملكية الخاصة والملكية الجماعية بدأ ماو يدعو إلى ثورة في البنية الاجتماعية وإلى ثورة فنية أي ما يماثل ثورة سياسية تحت غطاء اجتماعي.

كـان ماو على اقتنـاع تام بـأن بـالإمكـان الحصـول على الرساميل الضرورية لتطوير البلاد من ودائع القطاع الزراعي. يجب في البـدء تنظيم الفـلاحين وفق مبادىء الاختيـار الحر والمصلحة المتبادلة على أساس مجموعات صغيرة مؤلفة من بضـع عائـلات تتعاون فيمـا بينها. كـانت هذه هي الخـطوة الأولى. في الخطوة الثانية يتم تنظيم المجمـوعات الـزراعية الصغيرة في تعاونيات شبه اشتراكية تتميز بالاستغلال المشترك لـلأراضي وإدارة موحـدة. أما الخـطوة الثالثـة والأخيـرة فيتم تنظيم هذه التعاونيات شبه الاشتراكية في تعاونيات كبيرة تتبع بالكامل النظام الاشتراكي. حدد ماو وظيفة هـذه التعاونيـات الكبيـرة بأن تكـون قطب انجـذاب للفلاحين على أن ينتهي تنـظيم ١١٠ ملايين أسـرة ضمن تعـاونيـات كبيـرة في عـام ١٩٦٠.

٢ ـ العاميات

ما لبثت وأن حلت العامياتِ محل التعاونيات الزراعية لأن هذه الأخيرة لم تعد كافية لسد حاجات الاقتصاد الصيني. لم يرد ذكر العاميات إلا في ١١ أغسـطس (آب) ١٩٥٨ عندمـا أشارت وكالـة الأنباء الصينيـة شنخوا إلى أن مـاو زار عاميـة نموذجية هي عامية سبوتنيك في مقاطعة هونان. والعامية كلمة تشير إلى اتحاد عدد من التعاونيـات الزراعيـة ضمن مجتمع مستقـل في شؤونه الصنـاعية والـزراعية والتجـارية والثقـافية

والتعليمية والدفاعية. ادعت وكالة شنخوا في الأول من أكتوبر (تشرين الأول) من نفس السنة أن حوالي ٩٠ بالمئة من مجموع الأسر الفلاحية تم تنظيمها في عاميات تضم كل عامية من ٥ إلى ١٠ آلاف أسرة أي من ٢٥ إلى ٥٠ ألف شخص وعلقت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي على هذا الإتجار بالقول إن إنشاء العاميات الشعبية يشكل الحافز الأساسي الذي يدفع الفلاحين نحو الإسراع إلى بناء الاشتراكية في الطريق إلى الشيوعية وإنها ستقود الصين إلى عصر الشيوعية حيث يسود المبدأ «من كل واحد حسب قدراته إلى كل واحد حسب حاجته» بدلاً من «من كل واحد حسب قدراته إلى كل واحد حسب عمله» الذي كان سائداً في السنوات الأولى من النظام الشيوعي في الصين. رغم نجاح نظام العاميات تقلصت العاميات إلى تجمعات على شكل تعاونيات فوقية من ثم إلى مجموعات إنتاجية.

٣ ـ قطع أراض فردية

ألغى ماو قانون ملكية قطع الأراضي الصغيرة التي كان قد وزعها في السابق على الفلاحين الفرديين. وأعاد هذه الأراضي إلى الملكية الجماعية ولكن في بداية عام ١٩٦١ بسبب الصعوبات الكبيرة في القطاع الزراعي أعاد ملكية هذه القطع الزراعية الصغيرة إلى مالكيها الأصليين على أمل أن

يستثمروها ولو لسد حاجات أفراد عائلاتهم من الحبوب والمحاصيل الزراعية.

وضع ماو مخططاً للزراعة مكوناً من ثماني نقاط هي:

١ - استخدام الأسمدة ٢ - الري ٣ - انتقاء المحاصيل الواجب زراعتها ٤ - الزراعة المكثفة ٥ - حماية المزارع والمحاصيل ٦ - مساعدة المزارعين والفلاحين ٧ - صيانة الحقول ٨ - تحسين الأدوات المستعملة في الزراعة.

فهل تغيرت أساليب الحياة كثيراً في المناطق الريفية من الصين؟. قال أحد علماء الاجتماع بعد زيارته لمدينة شنسي في عام ١٩٦٤ إن المزارعين كانوا يستيقظون في الصباح الباكر للذهاب إلى الحقول بينما كانت زوجاتهم يصنعن بأيديهن أحذية للصغار والكبار من قطع قماش ونعال من اللباد. يؤكد هذا القول أن أحوال الفلاحين في الصين لم تتغيّر بعد سيطرة النظام الشيوعي في البلاد رغم كل ما يدعيه مناصروا وأعضاء الحزب الشيوعي الصيني بخلاف ذلك. لكن التغيير حصل بالفعل بعد هذا التاريخ وأصبح الفلاح يعيش عيشة مرفهة نسبياً لم يكن يعرفها أجداده وآباؤه. إن إطعام ٥٠٠ مليون فلاح من نتاج أراضيهم نجح بالفعل بل أن فائض الإنتاج سد حاجة مئات ملايين أخرى من الشعب الصيني.

٤ ـ حملة «المئة زهرة والمئة مدرسة»

دشن لـو تنغ يي بـاسم اتحاد نقـابـات المثقفين والفنيين حملة «المئة زهرة والمئـة مدرسـة» وقال في حفلة التـدشين «لندع الزهور تنمو ولندع المدارس تنتشر لأنه بدون ثقافة وفن لن تـزهر زهـرة واحدة في الصين». وشـرح ماو في خـطابه الشهير أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٥٧ «سيكون مأساوياً بالنسبة للفنون والعلوم فرض تعلم فن معين أو إقامة مدرسة معينة ومنع بقية المدارس من العمـل. يجب عدم فـرض أي شيء من الخـارج. رغم أن الاشتراكية قد توطدت أركانها في الصين فلا يزال هناك بعض البـورجوازيين الصغـار المناهضين للمـاركسية ولـذلك يجب على البروليتاريـا أن تستمر في مكـافحتهم وطالمـا لم تنتهي أعمـال المكـافحـة يجب على الفنـانين والمثقفين والعلمـاء مساعدة أفراد البروليتـاريا في معـركتهم ضد هؤلاء الخـونة» وقال أيضاً «يجب القيام بمعركة جديدة ضد الـطبيعة وعلينـا جميعاً أن نجدد أنفسنا. فأنا مثلاً تعلمت الشيء القليـل عن المـاركسية من الكتب ولكني لم أفهم مبـادئها تمـاماً إلا من خلال اشتراكي في كفاح الطبقات وعلي أن أستمر في التعلم إذا كنت أرغب في تحقيق نجاحات أخرى. يجب أن نكون صبـورين وأن نبني عـلاقـات حسنـة مـع الأقليـات الـوطنيـة والتغلب على الشوفينية المتأصلة في نفوسنا ضد الأقليـات.

دعوا المئة زهرة تزدهر ودعوا المئة مدرسة تتبارى فيما بينها حول الأفكار وبذلك فقط نشيد صروح التعايش الدائم والمراقبة المتبادلة. إذا أردنا أن نرى الصين دولة غنية وقوية يجب أن نكون مستعدين للقيام بجهود مضنية خلال السنوات القادمة وإذا أردنا أن نجعل الصين قوة صناعية علينا أن نستلهم التجربة المتقدمة في الاتحاد السوفياتي».

هدفت هذه الحملة فيما هدفت إلى تحقيق تفهم أفضل بين العمال وكادرات الحزب الشيوعي. ظهرت في الصحف والمجلات الصادرة في الصين مقالات وصور حول اشتراك رؤساء الأقاليم وكادرات الحزب في العمل الزراعي ينشرون البذار أو ينثرون الأسمدة فوق التربة. لكن ذلك لم يمنع حدوث مظاهرات طلابية وعمالية تطالب بالإصلاحات السياسية وهنا غيّر ماو لهجته اللطيفة وقال في أحد خطبه «يجب أن نميز بين الزهور ذات الرائحة الزكية والأعشاب الضارة. لقد دفعنا العدو إلى التقدم والظهور علينا لأنه لا يمكن قتل الأفاعي إلا عندما تخرج من أوكارها كما لا يمكن اقتلاع الأعشاب الضارة إلا بعد أن تظهر على سطح التربة».

٥ ـ العلاقات الصينية السوفياتية

كان ماو الرجل المسيطر على السياسة الخارجية للصين لا يدع لأي من رفاق النضال أن يتدخل في هذا النطاق. في عام ١٩٥٤ أشاد بالصداقة المتينة غير القابلة للتخريب القائمة بين

الصين واتحاد الجمهوريات السوفياتية ولكن بعد مرور عشر سنوات بدأت السحب تحجب شمس هذه الصداقة.

بدأ التصدع في العلاقات يظهر منذ عام ١٩٥٩ عندما احتج الصينيون على التدخل السوفياتي في مضيق فورموزا وعلى ضفاف نهر أمور وعلى الحدود الهندية الصينية. زار خروتشيف بكين مرتين خلال عام ١٩٥٩ وخلال الزيارتين لم يقابل إلا ببرود واضح من قبل ماو الذي انزعج من تصريح خروتشوف بأن الاتحاد السوفياتي يرغب في وضع حد للحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأميركية. برزت أيضاً إلى السطح الخلافات القديمة بين الصين والاتحاد السوفياتي حول الحدود المشتركة وبالأخص في منطقة كازاخستان وسينيكانغ الممتدة مسافة ألفي كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب والوجود السوفياتي في مقاطعة منغوليا واحتلال الصين لمقاطعة التيبت ومقاطعة لهاسا المتنازع عليهما.

٦ ـ العلاقات الصينية البريطانية

رغم أن بريطانيا اعترفت رسمياً بالصين الشيوعية رفض ماو تبادل السفراء معها لماذا؟ من أجل تجنيب الشعب الصيني المنتصر الاتصالات الرديئة فإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين وبريطانيا ستظهر بعد وقف قصير الهوة التي تفصل بين الدولتين بالنسبة لحياة المواطنين والصناعات الثقيلة والطاقة النووية. كان ماو يدعو إلى إقامة أفران صهر للمعادن

صغيرة الحجم حتى في القرى الصغيرة وكان يـأمل من وراء ذلك التغلب على القدرات الفنية البريطانية في إنتاج الحديد والصلب. قرر أن يتفوق على بريطانيا في هذا القطاع خلال خمسة عشر عاماً وبالفعل زاد إنتاج الصين من الصلب ما بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٧ مئات الأضعاف بحيث قارب مجمل الإنتاج ربع مجمل إنتاج بريطانيا من الصلب. قال ماو مشيداً بهذا الإنجاز «إن صناعتنا تتـطور وفق وتيرة أسـرع بكثير من وتيرة تطور الصناعة في بريطانيا. لقد أصبحت الصين تملك صنـاعـات متـطورة لإنتـاج السيـارات والـطائـرات والسكـك الحديدية والمعدات الثقيلة والأدوات والآلات المستعملة في التعـدين والمصـانـع ومحـطات تـوليـد الكهـربـاء والأدوات الصناعية الصغيرة والعدد اليـدوية. سـوف نستمـر في تعـزيز قواعدنا الصناعية الموجودة حالياً في المناطق الساحلية.

٧ ـ مركز العالم

لا يمكن فصل العقد السابع من حياة ماو تسي تونغ عن تاريخ الصيـن بالذات. في هذا التاريخ اتخذت أعمال ماو قيمة خاصـة. فقـد حاول تنـظيم استغلال الأرض الـزراعية وتهـذيب الضمـائـر وتدخل بقوة على مسرح السياسة الخارجية. خلال هذا العقد من عمر ماو تتابع رجال الدولـة وبالأخص الآسيـويين منهـم في زيارة بكين كما تتابع إرسال الصين لمبعوثيها إلى كافة بلاد العالم لإقامة علاقات ود وصداقة في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية

وبما أن ماو مثل الصين بشخصه خلال فترة طويلة من الزمن فإن حساب الخسارة والربح بالنسبة للصين يماثل تماماً حساب الربح والخسارة بالنسبة لماو. أصبح للصين في الوقت الحاضر ثقلها الدولي المؤثر على نطاق العالم أجمع فهي إحدى الدول العظمى التي احتلت مقاعد دائمة في مجلس الأمن الدولي ورغم كونها لم تصل إلى درجة من الثراء تتيح لها تقديم المعونات المالية والعسكرية إلى الدول الصديقة لها فإن تأثيرها المعنوي على مجريات الأمور في منطقة الشرق الأقصى لا يمكن تجاهله على الاطلاق.



ماو تسي تونغ عام ١٩٥٩

الأعمال المختارة

نشرت في فرنسا مجموعة «الأعمال المختارة» لماو تسي تونغ مترجمة عن اللغة الصينة. في هذه المجموعة التي تضم أكثـر من ألفي صفحـة تم إدراج المقـالات السيـاسيـة والتصريحات الصحفية والخطابات التي كتبها أو نطق بها هذا الزعيم الصيني العظيم. سوف نعطي هنـا بعض أهم ما جاء في هذه المجموعة التي يمكن اعتبارها السجل الحي لحيـاة ماو تسي تونغ.

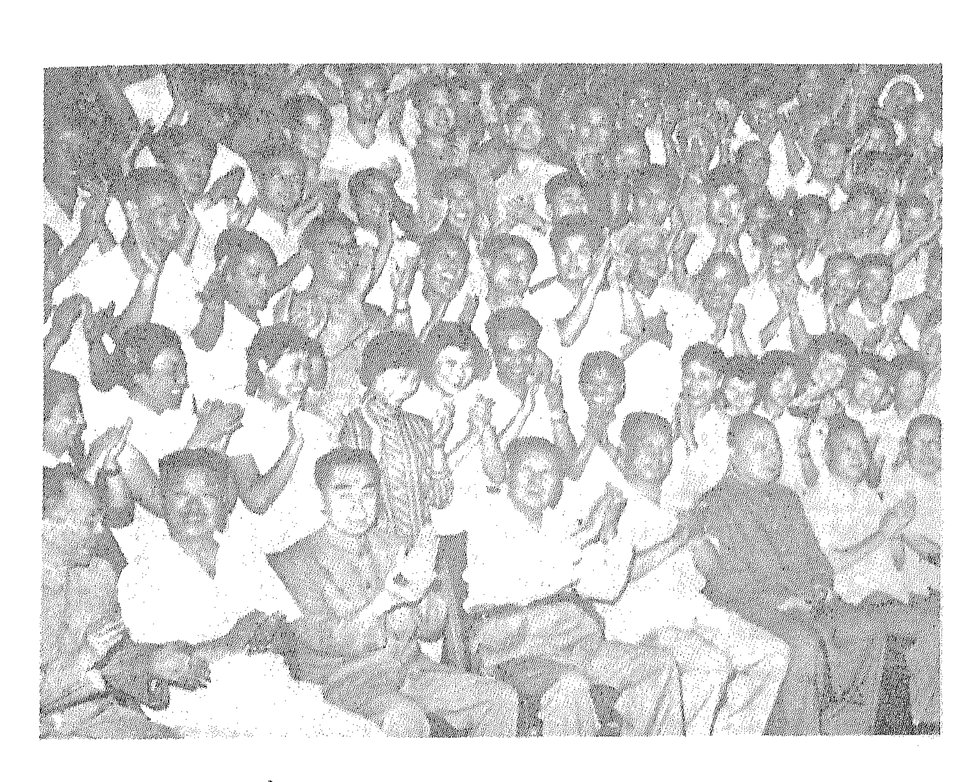
في عـام ١٩٢٠ عنـدمـا استهـوتـه المبـادىء اللينينيـة - الماركسية بدأ يدرس المسائل الرئيسية التي تطرقت إليها هذه المبادىء وبالأخص مفهوم العالم وعالمية التنـاقض والطبيعـة الخـاصـة للتنـاقض والتنـاقض الـرئيسي والمـظهـر الـرئيسي للتناقض وتعريف المضادات والكفاح فيما بينها ومكان العداء في سلسلة من التنـاقضات ووصـل إلى الإستنتاج إن قـانون التنـاقض هو القـانون الأسـاسي للفكر وإنـه يعارض مبـاشرة المفهوم الميتافيزيقي أي التجريدي. قال ماو حول التنـاقض ما يلي: «توجد التناقضات بين الحكومـة والجماهيـر ويؤدي

هـذا التناقض ضمنياً إلى التناقض بين مصالح الدولة والمصالح الجماعية والمصالح الخاصة أي بين الديموقراطية والمركزية وبين الرجال في الحكم والرجال المحكومين وإلى التناقضات التي تولد بفعل الممارسات البيروقراطية لبعض المسؤولين في علاقاتهم مع الجماهير».

شهد ماو عندما كان في سن السابعة عشر الإبادة الجماعية للفلاحين الذين ثاروا ضد الامبراطور وأعوانه مطالبين بتحسين أحوالهم المعيشية. تمتم ماو بينه وبين نفسه «يجب أن تتغيّر هذه الأمور» ومنذ ذلك الوقت استقر الغضب المكبوت في داخله بانتظار لحظة «تغيير كل شيء». قال في عام ١٩٢٦ بعد أن أسس الحزب الشيوعي الصيني مشيراً إلى انتهازية أحزاب اليمين ومحاولتهم الإستفادة من تعاونهم مع الكيو منتانغ ومنتقداً في نفس الوقت جناح تشانغ كيو تو في الحزب المؤيد للعمال على حساب الفلاحين.

«من هم أعداؤنا ومن هم أصدقاؤنا؟ إني أغامر في تحديد خمس طبقات للشعب الصيني هي: ١ ـ طبقة المالكين والبورجوازيين الكبار ٢ ـ الطبقة البورجوازية المتوسطة ٣ ـ الطبقة البورجوازية الصغيرة ٤ ـ الطبقة شبه البروليتارية و ٥ ـ طبقة البروليتاريا. فطبقة المالكين البورجوازيين الكبار عبيد البورجوازية العالمية وطبقة البورجوازية المتوسطة تمثل الإنتاج الرأسمالي وتصرفاتها تجاه

الثورة الصينية متناقضة. فهي تؤيد الحركة الثورية ولكن ما إن تندفع طبقة البروليتاريا في خضم الثورة تتردد هذه الطبقة وتسحب تأييدها. أما الطبقة البورجوزية الصغيرة فهي تضم الفلاحين الذين يملكون قطعاً صغيرة من الأرض وأصحاب المعامل الحرفية والحرفيين والمثقفين الصغار كالطلاب وأساتذة المدارس الابتدائية والموظفين الصغار والتجار الصغار. يسعى أفراد هذه الطبقة إلى الإثراء والعيش بكرامة ولكن العسكريين والمالكين الكبار يسدون عليهم طريق الحياة الكريمة فتسوء حالتهم يوماً بعد يوم. والطبقة شبه البروليتارية تضم الغالبية العظمى من الفلاحين الذين يملكون قطع أراضي صغيرة ويستغلونها لفائدتهم المباشرة. إنهم فلاحون فقراء وحرفيون فقراء وباثعون متجولون فقراء. أما طبقة البروليتاريا الحقيقية فتضم العناصر العاملة في المصانع والمناجم وشركات النقل النهري والبحري وصناعة النسيج وبناء السفن وحالتهم المادية مؤسفة للغاية ولا يجدون أمامهم أي أمل في مستقبل أفضل ما لم تتغير الأمور. لذلك أقول أن أعداؤنا هم العسكريون والبيروقراطيون والمالكون الكبار. أما البروليتاريا الصناعية فهي تمثل القوة القائدة لثورتنا وتمثل الطبقة شبه البروليتارية والبورجوازية الصغيرة أقرب الأصدقاء إلينا».



ماو تسي تونغ مع قادة الحزب الشيوعي الصيني في مهرجان أوبرا بكين في سبتمبر ١٩٦٤.

قال ماو في مـارس (آذار) ١٩٢٧ حول مفهـوم الثورة مـا يلي: إن الثـورة ليست حفلة عشاء ولا عمـل أدبي ولا رسم مثير ولا قطعة من القماش المطرز. إنها عمل عنيف تقوم به بلا رحمة طبقة للقضاء على سلطة طبقة أخرى. في الـريف تقـوم مجمـوعـات الفـلاحين بـالثـورة للقضـاء على السلطة الاقطاعية للمالكين الكبار ولـذلك تلجـأ إلى قدر من العنف لتحقيق أهـدافهـا ولكن عليهـا أولاً أن تعـرف كيف تمـارس العنف لكي تستطيع فيما بعد الابتعـاد عنه. يجب أن تتعلم كيف تـوتـر القـوس دون أن تـطلق السهم إلا في الـوقت المناسب».

وصف ماو في قصيدة شعرية «الزحف الطويل» بالإضـافة إلى مجموعات أخرى من القصائـد التي تمجد هـذا الإنجاز العظيم. قال في هذه القصيدة المشهورة ما يلي:

«كانت حملة لم يرى التاريخ شبيهاً لها. خلال إثني عشر شهراً، يوماً بعد يوم، اندفع الأبطال غير مبالين بقصف مئات الطائرات ليخترقوا دفاعات الجنـود الأعداء ويجبـرونهم على التـراجع. يصـدون الهجمات الجـانبيـة للعـدو وينجـون من مـلاحقاتـه. يتغلبون على الصعـاب وعلى الحواجـز التي لا يمكن حصرها. لقد واصلنا مسيرتنا إلى الأمـام. لقد جعلنـا أقدامنا تسير أكثر من عشرة آلاف كيلومتر واقتحمنا أحد عشر معقلاً للعدو واحتللنـا قرى ومـدن عديـدة وطردنـا منها فلول

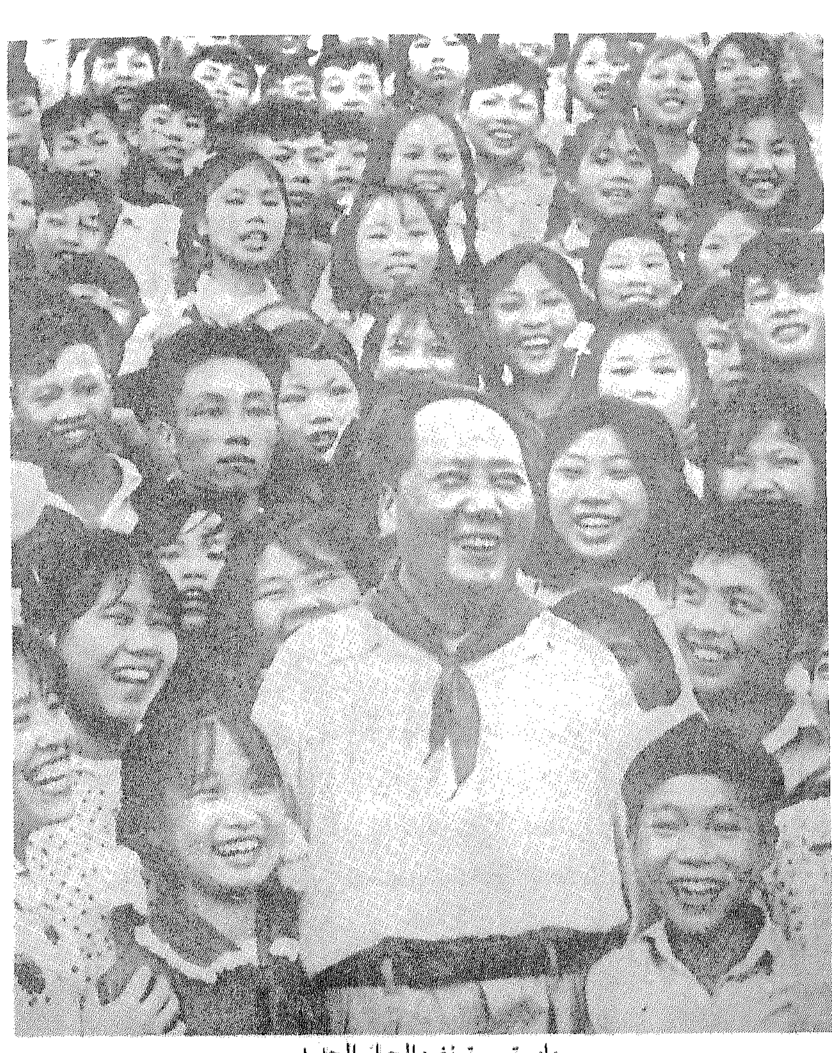
العدو. قل لي هل حدث ما يشبه ذلك في التاريخ؟ كلا بالتأكيد. لقد كان الزحف الطويل نذيراً أعلن للعالم أجمع أن الجيش الأحمر هو جيش الأبطال وإن الامبرياليين وزبانيتهم، أمثال تشيانغ كاي تشيك لا يساوون شيئاً. كان الزحف الطويل أيضاً حافز إثارة قال للمئتي مليون شخص القاطنين في إحدى عشرة مقاطعة إن الطريق التي اتبعها الجيش الأحمر هي الطريق الوحيدة المؤدية للتحرير. من قاد هذه الحملة إلى نهايتها المنتصرة؟ بدون الحزب الشيوعي كان مَن غير الممكن تنفيذ هذه الحملة. لم يخشى الحزب الشيوعي ولا قادته وكادراته ومقاتلوه أي صعوبة ولم يبالوا بأي حرمان. والذي يشكك في قدرتنا على إدارة الحرب الثورية ليس أكثر من رجل يغوص في مستنقع الانتهازية».

قال ماو حول مفهوم الديموقراطية ما يلي:

«يتساءل البعض عما إذا كان الشيوعيون الصينيون، بعد وصولهم إلى السلطة في البلاد، سيتبعون أسلوب الشيوعيين الروس ويقيمون ديكتاتورية البروليتاريا وحكومة الحزب الواحد. جوابنا هو أن الديموقراطية الجديدة تختلف في المبدأ عن الدولة الاشتراكية المبنية على ديكتاتورية البروليتاريا. لا شك أن نظامنا الديموقراطي الجديد سوف يقوم تحت إدارة البروليتاريا والحزب الشيوعي ولكن خلال تنفيذ مرحلة الديموقراطية الجديدة هذه لا يجب أن يكون في

الصين نظام ديكتاتورية الطبقة الواحدة وحكومة الحزب الواحد. لم نرفض حتى الآن التعاون مع أي حزب سياسي أو تنظيم اجتماعي أو أفراد طالما ظلت مواقفهم تجاه الحزب الشيوعي تؤكد تعاونهم وليس عداءهم. إن المعركة من أجل الديموقراطية ستمتد ومن السخف التصور بأن بالإمكان بناء الاشتراكية على أنقاض النظام الاقطاعي أو شبه الاستعماري أو الاستعماري دون أن نمر بمرحلة توحيد للقوى ضمن إطار الديموقراطية الجديدة وبدون تطوير الرأسمال الفردي والمؤسسات التعاونية وبدون تحرير وتطوير المبادرة الفردية لمئات الملايين من الرجال. يشبه الحافز الثوري سفينة تُشَاهد سواريها في الأفق البعيد. إنه يشبه قرص الشمس التي تخترق أشعتها ظلمات الشرق ويمكن رؤية هذا القرص من أعالي الجبال. إنه يشبه جنيناً لا يزال في رحم والدته منتظراً اليوم الذي سيخرج فيه إلى النور وإلى الحياة».

تحدث ماو في بداية مهنته العسكرية عن الاستراتيجية العسكرية. وضع ماو نظرية استلهم في إعدادها أساتذة الاستراتيجية في العالم واستند بشكل خاص على تجربته في مواقع القتال ويمكن تلخيصها كالتالي «عدم الهجوم إلا كان عددنا ثلاثة مقابل واحد والتفرق إذا كان العدو هو الأقوى وانهاك قواه واستخدام كافة الحيل والخدع العسكرية الممكن تنفيذها. افتقد ماو مؤيدي نظرية القوة غير المحدودة للسلاح



ماو تسي تونغ والجيل الجديد

التي تؤكد بأن الصين ستنهزم دون محالة أمام اليابانيين لأنها لا تملك الأسلحة الحربية المتطورة التي تملكها اليابان وأكد أن إرادة الرجل في الوقت الحاضر تتفوق على كافة أنواع الأسلحة وأشار في تأكيده إلى المعركة التي جرت عام ٦٨٤ قبل الميلاد التي انتصر فيها الشعب الأعزل من السلاح على القوات الغازية. «على الصين أن تعمل كما عملت روسيا عام ١٨١٢: كسب الوقت على حساب المدى». أعطى مثلاً انتصار المقاطعة الصغيرة «لو» على المقاطعة الكبيرة «تسي» فقال:

«انطلقت قوات مقاطعة «تسي» لمحاربة قوات المقاطعة «لو». جاء رجل الحاشية تساو إلى الأمير الذي كان يستعد للحرب وسأله «ماذا ستستخدم أيها الأمير لمواجهة المعتدين؟ فأجابه الأمير «لقد تصرفت دائماً بإخلاص مع شعبي ولم أخدعهم». فطلب منه تساو أن يرافقه إلى المعركة فوافق الأمير. كان الأمير قد فكر في التراجع لضعف إمكانيات قواته أمام جحافل جيوش «تسي» ولكن تساو طلب منه التريث. درس تساو الواقع على أرض المعركة وأعلن للأمير بعد ذلك أن بإمكانه بدء الهجوم الآن. وبالفعل انتصر جيش «لو» الأعزل تقريباً من السلاح والقليل العدد. طلب الأمير بعد النصر من رجل الحاشية تساو أن يخبره على ماذا استند عندما طلب من الأمير بدء القتال فأجابه تساو «إن الحرب هي مسألة

شجاعة وإقدام. تأكدت أن الشجاعة غير موجودة لدى جنود العدو في حين كنا جميعاً شجعاناً ولذلك انتصرنا. لقد فحصت آثار عجلاتهم وتأكدت من أنها متشابكة الخطوط مما يعني أن الأعداء لم يكونوا قد قرروا بعد بدء القتال ولذلك طلبت منك أن تكون البادىء بغية إرباك صفوفهم».

رفض ماو الميتافيزيقية وأعجبته الجدلية. انصب تأنيبه على الكتاب والفنانين الذين لا يعرفون طبيعة ونفسية العمال والفلاحين والجنود والمحاربين. قال «عندما كنت في المدرسة كنت أعتبر المثقفين أنظف أشخاص في العالم واعتبرا العمال والفلاحين قذرين. ولكن بصورة تدريجية بدأت أعرف خلال المعارك طبيعة العمال والفلاحين وفهمت عندئذ بأن من المحتمل أن تكون أيدي العمال والفلاحين قذرة وأقدامهم متسخة ولكنهم يظلون أنظف من كافة المثقفين البورجوازيين. لذلك قررت أن أجد حلاً نهائياً لعلاقات حزبنا مع جماهير الشعب».

قال ماو حول اللغة ما يلي:

«يجب أن نتعلم لغة الشعب لأنها غنية جداً وتعكس الحياة الحقيقية. يجب أن نستعير من اللغات الأجنبية ما هو ضروري لنا لأن الصين لا يمكنها أن تظل معتمدة على لغتها القديمة. لقد دخل إلى لغتنا بالفعل كلمات أجنبية ليس لها أصول في اللغة الصينية. لنأخذ مثلاً كلمة «كادر»، إنها كلمة

أجنبية ولكنها ترمز اليوم إلى أمر حيوي بالنسبة للأحزاب. يجب أيضاً أن نتعلم كل ماهو حي في لغة أجدادنا. لا شك إننا لا نريد أن نستعمل نفس اللغة التي كاوا يتكلمون بها قبل آلاف السنين ولكن علينا أن نتعلم كل ما هو مفيد وجميل فيها. إن الأدب والفن الثوريين هما نتاج انعكاس حياة الشعب في ضمير الكاتب الثوري أو الفنان الثوري. ولذلك يجب أن يكون لدينا فن وأدب على مستوى أرفع مما هما عليه الآن. لقد قال لينين إن الأدب يجب أن يصبح جزءاً من القضية العامة للبروليتاريا... عجلة صغيرة أو مسمار صغير في الآلية العظيمة للديموقراطية الاشتراكية. ما شأن الحب في الأدب والفن؟ الحب ظاهرة نموذجية أما مبدأنا فيتألف ليس فقط مما هو نموذجي بل وأيضاً مما هو عملي وموضوعي. إن الحب للإنسان لم يعد له وجود منذ أن انقسمت الإنسانية إلى فئات وطبقات. فالطبقات تقسم المجتمع إلى مجموعات تتبادل العداء فيما بينها ولذلك سوف يظهر حب الإنسانية جمعاء فقط بعد أن يتم القضاء على الطبقات».



ماو تسي تونغ يحيي الجماهير

(نوفمبر ١٩٦٤)

ماو الشاعر

ظل ماو تسي تونغ طوال حياته يكتب الشعر ويتطرق في أشعاره إلى مواضيع الساعة. لم يوافق ماو على نشر قصائده ووافق فقط في الخمسينات على نشر ١٧ قصيدة قصيرة. نجد في هذه القصائد تعبيراً شعرياً عن مصادر الهامه واستخدامه لمفردات اللغة الصينية الكلاسيكية. لم يعط ماو أهمية لأشعاره وعندما سأله الصحافي باين عن القصائد التي نظمها أجابه ماو إن كتابته للشعر لم تكن سوى ملهاة لأن وقته مشغول بالكامل باستلام الرسائل المستعجلة وإعداد الخطب والتوجيهات للشعب. نشرت دار المنشورات الصينية الرسمية المجموعة الشعرية لماو تضمنت هذه المجموعة بالإضافة إلى القصائد السبع عشرة قصيدتين فأصبح مجموع القصائد تسع عشرة قصيدة. اخترنا من بين هذه القصائد القصيدة الأولى وعنوانها الثلج التي نظمها ماو داخل الطائرة التي أقلته من يان غان إلى تشونغ كينغ في أغسطس (آب) ١٩٤٥.

الثلج

«مناظر الشمال، رياح وأضواء
جليد ملتصق فوق آلاف الأميال
هناك نحو السور العظيم، هنا وهناك
لا يوجد سوى السهب حيث يضيع النظر
والنهر العظيم الذي أوقف فجأة تدفقه القوي.
قمم الجبال المغمورة بالثلج ترقص كأفاعي من فضة
وتهرب الهضبات المحدبة كأفيال من شمع
تنافس بارتفاعها السيد السماء.
في الأيام الصافية فقط تظهر بكل عظمتها السحرية
تماماً كامرأة منحضبة بالأحمر مرتدية حريراً خاماً
أتى إليها العديد من الأبطال بعد أن سحروا بمفاتنها
وبأنهارها وجبالها لينحنوا أمامها.
من المؤسف أن امبراطور «تسين» والمقاتل من قبيلة «هان»
كان ينقصهما التربية المدنية
من المؤسف أن جد قبيلة «تانغ» وجد قبيلة «سونغ»
لم يهتما بالعلاج بواسطة الشعر
من المؤسف أن جنكيز خان الابن المدلل للسماء
لم يعرف كيف يوتر قوسه ضد النسر العملاق
ولكن كل ذلك كان في الماضي وإذا أردتم أن يكون لديكم

رجالاً يتمتعون بالأهلية فليس عليكم سوى
النظر إلى من هم من حولكم»

انتشر مرض الطاعون في جنوب نهر يانغ تسو. باشرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بحملة واسعة للقضاء على هذا الوباء في عام ١٩٥٦ وفي عام ١٩٥٨ أعلنت مقاطعة يوكيانغ أن الطاعون اختفى منها. قال ماو لأحد أصدقاءه المقربين «بعد أن قرأت في الصحيفة خبر تخلص مقاطعة يوكيانغ من مرض الطاعون تراكمت في ذهني آلاف الأفكار وفي نسيم الصباح الدافىء رفعت عيناي إلى السماء البعيدة وكتبت الأبيات التالية أعبر فيها عن سعادتي.

«ماذا يفيد هذا العدد الكبير من الأنهر ومن الجبال والهضاب
عندما لا تستطيع أن تعمل شيئاً ضد هذا المرض اللعين
الذي سبب فراغ ألف منزل وسكنى الشياطين تحت عشرة آلاف سقف.
الأرض لا تقطع في اليوم أكثر من ثمانين ألف كيلومتر
وتقدم السماء ألف نهر للنظر
ولكن إذا ازداد إله الطاعون قوة
ستذهب السعادة مع الحزن لتسير في مجاري الأنهر الملغاة.
في النسيم، في الربيع سيغمر المطر الأحمر

كل هذه النفوس، ستمئة مليون نفس
الهضاب الخضراء المحيطة بالجسور تهوي ومن السماء تسقط
أكواز الصنوبر الفضية فوق القمم».

يجب هنا أن نشير إلى أن ماو الذي أحب المسرح كتب مسرحية وطنية. في هذه المسرحية أدخل ماو الشعارات التي ابتكرها. لقد مارس فن التعبير عن الأفكار، فن تقديم مسكنات للمزارعين الذين بعد أن يبتلعوها يتحولون إلى جنود مخلصين مندفعين. نذكر هنا بعض هذه الشعارات التي ألهبت عقول وقلوب أفراد الشعب الصيني وجعلتهم يتبعون بدون تفكير الطريق التي رسمها لهم ماو.

«نظموا صفوفكم ضمن تعاونيات»
«لتزدهر مئة زهرة ولتنافسها مئة مدرسة»
«تفوقوا على بريطانيا العظمى»
«سيروا على قدمين»
«أعطوا قلوبكم»
«الجميع جنود عمال»
«التواضع يجب التقدم والكبرياء تجلب التقهقر»
«الموت من أجل كوريا والموت من أجل نورموزا»

لقد خلق ماو أسطورته وعظَّم بالشعر والنثر «الزحف الطويل». تحدث معاونوه عن حياته البسيطة التي عاشها رغم

كونه يحكم مئات الملايين من البشر. قال أحد هؤلاء في كتاب «نبذة عن حياة ماو» ما يلي: كان الرئيس ينام فوق سرير من خشب ولا يطلب خلال الليل إلا قدح من الماء مع أنه كان يمضي معظم ساعات الليل وهو يعمل. لم يكن يملك سوى ردائين من القطن وخرج يحفظ فيه أوراقه».

شهادات بحق ماو

لا يوجد كتاب عن سيرة حياة ماو تسي تونغ ولن يوجد على الأرجح مثل هذا الكتاب في المستقبل. لأن ماو لم يكتب أصلاً سيرة حياته أو مذكراته. أما سير الحياة التي نراها في المكتبات فليست سوى أقوال سجلها صحافيون خلال مقابلاتهم لماو. نذكر بشكل خاص كتاب إدجار سنو وهو أول صحافي أميركي زار في عام ١٩٣٦ القواعد العسكرية لقوات الجيش الأحمر في مقاطعة شنسي وتمكن خلال هذه الزيارة من مقابلة الزعيم ماو والحصول منه على تصريحات سجلها الصحافي الأميركي في كتابه المعنون «نجم أحمر فوق الصين». عاد هذا الصحافي بعد ربع قرن إلى الصين وحصل على شرف مقابلة ماو بعد أن أصبح زعيماً لأكثر من ستمئة مليون شخص. كتب هذا الصحافي عند عودته إلى الولايات المتحدة كتابه الشهير «الجانب الآخر من الماء». أكد الصحافي في مقدمة الكتاب إن ماو لم يكتب سيرة حياته ولم يسمح لأحد بأن يكتب عن حياته الشخصية ما عداه. صحافي آخر هو المجري بالوزي هورفات الذي عمل

جاسوساً في المخابرات البريطانية وشارك في ثورة بودابست عام ١٩٥٦ وضع كتاباً بعنوان «امبراطور النمل الأزرق». أعطى هذا الصحافي وصفاً مثيراً لماو تسي تونغ نوجزه بما يلي:

«في نهاية فترة يان غان في عام ١٩٤٨ طبق ماو ورفاقه على المناطق المتوسعة باستمرار لحكمهم استراتيجية سياسية وعسكرية كانوا مبرمجين أصلاً لتطبيقها. كانت ترد إلى مقر ماو في يان غان كافة التقارير والمعلومات ومن خلال اتصالاتهم اليومية مع الواقع ونجاح عملياتهم ازداد إيمان هذه العقول الميكانيكية بعدالة قضيتهم وبمبادئهم الأساسية. في قيادتهم لآلاف العمليات الهجومية وفي تأسيس آلاف التنظيمات المحلية عملوا كما يعمل النظام المركزي الذي يدير مصنعاً آلياً بالكامل. أصبحت آليتهم العقلية مشابهة لعقل الكتروني والعقل الالكتروني لا يحس بأي شعور ولا يتبع أي أخلاقية ولا يمكنه أن يرتكب خطأ ضمن إطار فرضياته».

أما الكاتب البريطاني روبرت باين فقد استلهم في وضع كتابه «صورة لثوري: ماو تسي تونغ» الذي نشر عام ١٩٥٠ وأعيد نشره عام ١٩٦٢ مثال ادجار سنو. ذهب إلى يان غان لمقابلة ماو تسي تونغ في بداية صيف ١٩٤٦. فشلت جهوده في مقابلة ماو إلى أن شاهده جالساً بين النظارة في أحد

المسارح الشعبية. صمم عندئذ أن يقابل ماو مهما كلفه ذلك من جهد وبالفعل استلم بعد بضعة أيام رسالة من رئيس الأركان يخبره فيها بأن ماو سيحضر حفلة عشاء بسيطة في وزارة الخارجية يقيمها العاملون في تلك الوزارة وإنه مدعو لحضورها. وصف باين ما شاهده خلال هذه الحفلة بهذه الكلمات:

«دخل ماو إلى القاعة بهدوء. كان يرتدي سترة من شعر الماعز وكان أكبر وأنحف جسماً مما كنت أتصوره. كانت كتفاه ثقيلتين ومهدلتين وشعره براقاً وطويلاً: عيناه كبيرتان وشفتاه مكتنزتين ولم يبدو على وجهه أي تأثير. كان يفوح من شخصيته نوع من الهدوء كهدوء الكهول ولكن هذا الهدوء لم يكن إلا وهمياً. كان عمره ٥٣ سنة ولكنه كان يبدو وكأنه ابن عشرين. تبعته زوجته مرتدية سروالاً أسوداً وكنزة صوفية. دخل إلى القاعة ووراءه جنرالات عديدون. جلس المدعون حول مائدة وضع فوقها قصع للحساء وخبز ورز محلى وذرة وطماطم. كانت جدران القاعة مزينة بصور ماو وتشو تو واتلي وترومان وستالين وشيانغ كاي تشيك. تحدث ماو عن الزحف الطويل بصوت منخفض ارتفعت نبراته شيئاً فشيئاً. سأله أحد الموجودين: ما الذي أثارك أكثر من أي شيء آخر خلال معارك الزحف الطويل فأجابه ماو مبتسماً: أعتقد، أن ما أثارني أكثر من أي شيء آخر كان قفز السمك بين أيدينا وتغلغله

داخـل سراويلنـا عندمـا كنا نعبـر الأنهر». اغتنم پـاين هـذه الفرصة للتدخـل «يعتقد لاو تسـو أن الحكم يجب أن يكون أسهل من طهي الأسماك الصغيرة ـ ألا توافقون على ذلك»؟ أجابه ماو «ليس من الضروري وجود حكومة. يمكنك التأكد أن السكـان في المنـاطق الشيـوعيـة يحكمـون أنفسـهم بأنفسهم».

خلال الحوار الذي أجراه ادغار فور مع ماو تسي تونغ في ربيـع عام ١٩٥٧ تحـدث ماو عن الصين بحمـاس ممـزوج بالثقة والإرهاق. ذكر الازدحام البشري وقلة المـوارد وتأخـر التطور العلمي. «الأرض في بلادنا صغيرة ولا يستطيع الفلاح أن يقسم وقته بين استغلال الأرض ضمن تعاونيات واستغلال قطعة أرضه الصغيرة لفـائدتـه الشخصية. «لـدينا في الصين قصة جميلة هي قصة مالك الحزين وبلح البحر. وجد مالك الحزين بلح البحر ملقى على شاطىء وعندما اقترب منه أطبق بلح البحر على منقار مالك الحزين واستقر هناك. وهنا بدأت أحـاديث متناقضـة بينهما. قـال بلح البحر بعـد ثـلاثـة أيـام ستموت فأجابه مالك الحزين وأنت أيضاً فإنك ستمـوت من الجفاف إذا بقيت في هذا الموقع على منقاري. لم يرد أي منهمـا التراجـع وفي هذه الأثنـاء مر صيـاد قربهمـا فاصـطاد كليهما. «رد عليه ادغار فور فوراً: هل كان الصياد روسياً أم أميركياً»؟ فأجابه ماو «أعتقد أنه كـان صياداً أميـركياً». قـابل ادغـار فور مـاو تسي تونـغ مرة أخـرى في نوفمبـر (تشـرين

الثـاني) ١٩٦٣ في شانغهـاي. عبر مـاو عن أمله في إعـادة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وحـدوث انفراج سيـاسي مع الـولايات المتحـدة الأميركيـة. قال مـاو لادغار فـور: «لقـد نجحت الصين في التغلب على فتـرة عصيبة امتـدت طـوال ثـلاث سنـوات ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ و١٩٦١. لقـد دخلت إلى طريق تقدم صعب ولكن بانتظام». وقـال ادغار فـور عن ماو «لقد عاش ماو ورفاقه في بداية حياتهم في الصين المحتقرة والمهـانة. لقـد عاشـوا الفشل المتتـابـع لمحـاولتين لإقامـة ديموقراطية ليبرالية: تخلي صن يات‌تسين عن نضـاله والفشـل الذريع الذي مني به نظام الكيو منتانغ. استمد ماو ورفاقه من هذا الانهيار المزدوج الاقتناع بأن أي تحول نحو الديموقراطية محكوم بالفشل وإن تجديد الصين يحتاج إلى أكثر من نظرة سياسية متحررة على طريقة الثورات الأوروبية وإنه يحتاج إلى نظرة اقتصادية ديكتاتورية. لذلك اعتنق مـاو الماركسيـة التي كانت النظرية الوحيدة المتوفرة أمامـه فارتبط بهـا ولم يتخلى عنها أبداً مقابل أي ثمن. ومع ذلك لا يمكن تحديد تصرفات ماو ورفاقه استناداً إلى هذا المفهوم. إنهـم لا زالـوا يحملون في داخلهـم الآباء الوطني ويتمسكون بقوة بهويتهم الوطنية».

آراء ماو تسي تونغ

١ ـ دعوة القوى الثورية في العالم أجمع إلى الاتحاد لمحاربة العدوان الامبريالي:

في هـذه اللحظة التي تـدرك الطبقـة العماليـة والثوريـون الحقيقيون في العالم أجمع قيمة وتأثير الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي يعود إلى ذاكـرتي المقالـة المعروفـة التي كتبهـا ستالين عـام ١٩١٨ بمنـاسبـة الـذكـرى الأولى لثـورة أكتوبر. قال ستالين:

تشكل التأثير العالمي لثورة أكتوبر من المكونات التالية:

١ ـ توسيع إطار المسألة العالمية وتحويلها من مسألة خاصة تهم الكفاح ضد الاضطهاد الوطني في أوروبا إلى مسألة عامة تتعلق بتحرير الشعوب المضطهدة والمستعمرات من نير الامبريالية.

٢ ـ استخدام الإمكانيـات الضخمة والسبـل الفعالـة لتحقيق هـذا التحريـر ودفـع الشعـوب المضـطهـدة في الشـرق والغـرب إلى طريق مشتـركـة تؤدي إلى الانتصـار على الامبريالية.

٣ ـ إقامة جسر بين الغرب الاشتراكي والشرق المستعبد من خلال تأسيس جبهة ثورية جديدة ضد الامبريالية العالمية تربط ما بين الطبقة البروليتارية في الغرب والشعوب المضطهدة في الشرق مروراً بالثورة الروسية.

لقد تطور التاريخ في الاتجاه الذي أشار إليه ستالين. لقد فتحت ثورة أكتوبر إمكانيات عظيمة أمام شعوب العالم لتحريرهم. لقد أوجدت هذه الثورة جبهة ثورية ضد الامبريالية العالمية مستنيرة بآراء لينين وبعد وفاته بآراء ستالين.

من أجل تنفيذ ثورة يجب أن يوجد حزب ثوري وبدون حزب مبني على المبادىء الثورية الماركسية اللينينية من المستحيل قيادة الطبقة العاملة والجماهير الشعبية إلى النصر في معركتهم ضد الامبريالية وأذنابها. تأسست أحزاب ثورية في العالم أجمع والحزب الشيوعي الصيني حزب تأسس وتطور وفق نموذج الحزب الشيوعي السوفياتي ومع ولادة الحزب الشيوعي الصيني اتخذت الثورة الصينية مظهراً جديداً تماماً. أليس هذا واضحاً بدرجة كافية؟

لقد انتصرت الجبهة الثورية العالمية الموحدة بقيادة الاتحاد السوفياتي على الفاشستيين الألمان والايطاليين واليابانيين فهل كان الانتصار على ألمانيا وايطاليا واليابان

ممكناً بدون ثورة أكتوبر وبدون الحزب الشيوعي السوفياتي وبدون الاتحاد السوفياتي وبدون الجبهة الثورية الموحدة ضد الامبريالية في الشرق والغرب التي يقودها الاتحاد السوفياتي؟

لقد أنارت ثورة أكتوبر طريقنا. يجب على الشعب الصيني الذي ضحى كثيراً من أجل التحرير أن يواصل كفاحه لتحقيق التحرير التام لكافة أراضيه. لم تعد الثورة الصينية معزولة بعد ثورة أكتوبر. تقف بجانبنا الآن الأحزاب الشيوعية والطبقة العمالية في العالم أجمع. لقد أدرك هذا الواقع الدكتور صن يات تسين رائد الثورة الصينية. صمم سياسة تحالفية مع الاتحاد السوفياتي لمحاربة الامبريالية وعلى سرير الموت كتب رسالة إلى الاتحاد السوفياتي شكلت قسماً من وصيته. من هنا فصاعداً سيشهد العالم الانهيار التام للنظام الرجعي لزمرة الكيو متنانغ. الشعب الصيني شجاع والحزب الشيوعي الصيني شجاع أيضاً وقد صمم الإثنان على تحرير كامل التراب الصيني».

٢ ـ حول الديكتاتورية الديموقراطية الشعبية

«إن المشكلة الكبيرة أمامنا هي تثقيف الفلاحين. لقد تطلب إرساء الاشتراكية في القطاع الزراعي في الاتحاد السوفياتي وقتاً طويلاً وجهوداً مضنية. يجب على دولة

الديكتاتورية الديموقراطية الشعبية أن تحل مشاكل التصنيع بصورة منهجية.

في عام ١٩٢٤ أصدر مؤتمر الكيو منتانغ بقيادة صن يات تسين بالذات بمشاركة الشيوعيين المانيفستو الشهير التالي: «في الدول الحديثة تحتكر الطبقة البورجوازية غالباً النظام الديموقراطي وبذلك أصبحت مضطهدة الشعوب. بالمقابل يمثل مبدأ الديموقراطية الذي يتبعه الكيو منتانغ الخير العام لكل شعوب العالم». إن مبدأ الديموقراطية الذي يتكلم عنه المانيفستو يماثل، كبرنامج سياسي عام، ما نسميه الديموقراطية الشعبية أو الديموقراطية الجديدة. إنه نظام للدولة يعمل للخير العام لأفراد الشعب وليس لمصلحة البورجوازيين وتحت إدارة الطبقة العاملة يصبح هذا النظام نظام الديكتاتورية الديموقراطية الشعبية.

إن الرجعيين الأجانب الذين يتهموننا بممارسة الدكتاتورية أو الكليانية هم أنفسهم الذين يمارسونها. إنهم يمارسون ديكتاتورية الطبقة الواحدة على الشعب، يمارسون كليانية الطبقة الواحدة وهي البورجوازية. أوصانا الفيلسوف الصيني تشو هي بأن نعامل الناس كما يعاملونا وهذا ما ننفذه فعلاً. نعامل الامبرياليين وأذنابهم والرجعيين من زمرة شيانغ كاي تشيك كما عاملونا. هذا كل شيء.

إن الديكتاتورية الديموقرطاية الشعبية تستند على تحالف

الطبقة العاملة مع الطبقة الفلاحية والبورجوازية الصغيرة في المدن وبصورة خاصة على تحالف الطبقة العاملة مع الطبقة الفلاحية لأن هاتين الطبقتين تمثلان ما بين ٨٠ و ٩٠ بالمئة من سكان الصين. يحتاج هذا النظام إلى إدارة من جانب الطبقة العمالية لأنها الطبقة الأكثر بعداً للنظر والأشد تعلقاً بالمفهوم الثوري. يثبت تاريخ الثورات إن الثورة فشلت بدون إدارة الطبقة العاملة وإنها نجحت تحت إدارة الطبقة العاملة.

يمكن تلخيص تجربتنا في نقطة واحدة: الديكتاتورية الديموقراطية الشعبية الموضوعة تحت إدارة الطبقة العاملة (من خلال الحزب الشيوعي) والمستندة على تحالف العمال والفلاحين على أن توحد قواها مع القوى الثورية العالمية. هذه هي صيغتنا. هي هي تجربتنا الرئيسية وهذا هو برنامجنا الأساسي.

٣ - فيما يخص أساليب الادارة

هناك طريقتان يجب علينا نحن الشيوعيون أن نطبقهما على كل عمل نقوم به: دمج الأوامر العامة بإدارة متماسكة والمحافظة على علاقات الإدارة مع الجماهير. وكلما ازدادت صعوبة الكفاح كلما أصبح من الضروري أكثر توحيد الإدارة التي يمارسها الشيوعيون تلبية لمطالب الشعب وتوحيد الأوامر العامة الصادرة من الشيوعيين مع الإدارة المتماسكة مما

يسمح بصورة نهائية القضاء على الأساليب الذاتانية والبيروقراطية للإدارة. يجب على كافة الشيوعيين الذي يوكل إليهم عمل إداري أن يواجهوا دوماً الأساليب الذاتانية والبيروقراطية بالوسائل العلمية والماركسية الخاصة بالإدارة. فمن أجل محاربة الأساليب الذاتانية والبيروقراطية للإدارة يجب نشر وتعميق فهم الأساليب العلمية الماركسية الخاصة بالإدارة.

المراجع

MAO TSE - TOUNG, PARIS, ARMAND COLIN 1963.

LA CHINE, PRESSE UNIVERSITAIRE DE FRANCE, 1964.

AVEC LE PRESIDENT MAO, EDITIONS EN
LANGUES ÉTRANGÉRES, PEKIN 1959.

CE GUE J'AI VU EN CHINE ROUGE, SEGHERS, 1946.

OEUVRES CHOISIES, COMMISSION OENTRALE DU
PARTI COMMUNISTE CHINOIS, 1959.

MAO TSE-TUNG, POEMES, EDITIONS EN LANGUES
ÉTRANGÉRES, PEKIN 1960.

LE BOND EN AVANT, PEKIN 1958

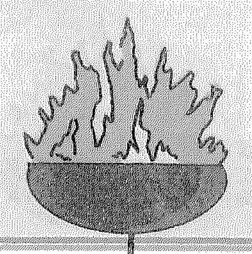
RED STAR OVER CHINA, EDGAR SNOW, 1937/.

PORTRAIT OF A REVOLUTIONARY, ROBERT PAYNE,
1962.

MAO TSE - TOUNG, SEGHERS, 1965.

المحتويات





الناشر: دار الراتب الجامعية
سوفنير

3

هذه السلسلة:

(1) لافونتين	LAFONTAINE	(9) ديكنز	DICKENS
(2) پاسكال	PASCAL	(10) كيير غارد	KIERKEGAARD
(3) ماوتسي تونغ	MAO TSO TONG	(11) ماكيافيلي	MACHIAVELLI
(4) غوته	GOETHE	(12) ڤيرجيل	VIRGILE
(5) شوبنهوير	SCHOPENHAUER	(13) شكسبير	SHAKESPEARE
(6) تشيكوف	TCHEKOV	(14) ديكارت	DESCARTE
(7) غوركي	GORKI	(15) هومير	HOMER
(8) همنغواي	HEMINGWAY	(16) دوستويفسكي	DOSTOIEVSKI

هام جداً،

أدباء منتحرون «دراسة نفسية»

كتاب واحد، من إعداد مكرم شاكر اسكندر

يعالج الكتاب دراسة هذا السلوك التدميري الذي يدمر فيه الفرد ذاته وا
أقدم عليه أديبان من أكبر أدباء القرن العشرين وهما: الأديبة الانجليزية فير
ولف، والأديب الأمريكي إرنست هيمنجواي. وقد جاءت الدراسة من
التحليل والتفسير بعض الإنتاج الابداعي القصصي لهما.



تباع هذه ا

- بيروت: مكتبة سوفنير - دار الراتب ص ن ٣١٣٩٢٣ بيروت/لبنا
- القاهرة: هلا بوك شوب - تلفون ٢٤٤٩١٣٩ المهندسين صحافيين.
- عمان: مكتبة الراتب العلمية - تلفون ٦١١٥٤٨ قرب مجدلاوي - الأردن
- الكويت: وكالة المطبوعات - تلفون ٢٤٣٢٢٩٦.
- الشارقة: مكتبة دار الحياة - مكتبة الآداب ● دبي: مكتبة دار المناهل.